
الولاية والأولياء
فوزي محمد أبو زيد



الطبعة الأولى

٢٧ رجب ١٤٢٨هـ ، الموافق ١٠ أغسطس ٢٠٠٧

رقم الإيداع المحلى : ٢٠٠٧/١٦٧٨٢

الإيداع الدولى .I.S.B.N : ٩٧٧-١٧-٤٩٦٤-١

دار نوبار للطباعة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ...

الواحد في علاه، الأحد في بهاه، الظاهر بنوره وضياه .....

والصلاة والسلام على حبيب الله ومصطفاه .....

شمس نور ضياه، وسر أسرار مجلاه، وغيب أقداره وبهاه، سيدنا محمد وآله الهداه، وأصحابه التقاة، وكل من تابع هديه إلى يوم الدين

آمين ، وبعد

فقد منَّ الله علينا بإخوان صدق نلتقي بهم بين الفينة والفينة ....

لنجدد الأحوال ونسموا بالقلوب إلى عالم النقاء والصفاء ....

فتستمد منه ما يكرمنا الله به من العطاء .... ، الذي يكون تارة علماً وهبياً، وأخرى حكماً ربانية، وأحياناً توجيهات قرآنية تكون كنفثات من الصدور إلى قلوب امتلأت بالنور ..... ، فتعلي الهمم ، وتثير كوامل الشوق إلى الحضرة الإلهية .... والذات المحمدية

يشير إلى هذا الإمام أبي العزائم ﷺ في قوله:

أمن القلوب إلى القلوب شراب . ومن الفؤاد إلى الفؤاد خطاب
ومن اللطيفة للطيفة نظرتي .تعطى لمطلوب من الوهاب
ومن الخفا والغيب قد .. تعطى علوم الغيب للأحباب

ويوصي ﷺ أيضاً الحاضرين لهذه التنزلات الإلهية فيقول:

عني اسمعوا ما تعقلون من الكلام ... فالعلم بالرحمن من صافي المدام
والعلم بالله العلي غوامض ... لا يفقهن إلا لصب في اصطلام
خذ ما صفا لك من إشارة عارف ... فالعارفون كلامهم يشفي السقام

وتدور هذه الدروس حول ..... :

- بعض الغايات`التى يسموا إلى نوالها كمل العارفين والصادقين من السالكين.
- وكذلك توضح الوسائل التى بها يتم الصفاء.
- والتى يصل العبد بها إلى مقام الشفافية والجلاء البصري.
- ولزيادة تعلق المريدين بالقرب من حضرة الله .... تنوه إلى بعض العطاءات الإلهية، والمنح الربانية ، والتفضلات القدسية ، التى يتفضل بها الله عز وجل على العبد إذا اجتباه ... ، وإلى حضرته قرَّبه واصطفاه ... وبغيوب أسراره، وحقائق تجلياته، وصافي أنواره حلاه وعلاه.

- وقد أيدنا كل ما ذكرناه بالحجج العقلية والنقلية من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .
- مع الإشارة إلى بعض مذاقات العارفين، وإلهامات الصالحين في آيات كتاب الله وفي أحاديث رسول الله ﷺ وذلك عملاً بقول الله جل في علاه :

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾

[الآية (٤٩) العنكبوت]

- كما استشهدنا بالأحوال الصادقة، والآثار الصحيحة الواردة عن أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة العارفين المرشدين.

وقد قام أخوة صدق بتسجيل هذه النفثات الروحانية ....

ثم قام أخوى الصدق الدكتور حمدى السيد الأستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر بالقاهرة، والأستاذ مصطفى عبدالموجود المشرف العام على المدينة الجامعية لجامعة الزقازيق بنسخها وكتابتها على الورق، وبعد تصحيحها قام الأستاذ أحمد سعيد الغنام المدرس بالتربية والتعليم بالشرقية بكتابتها على الكمبيوتر .....

فجزاهم الله عنا خير الجزاء .....

ورقاهم إلى حضرته حسًّا ومعنًى، وبلغهم منازل المقربين والأبرار.

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران]

وصلى الله على سيدنا محمد ...

وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ....

وعلينا معهم بمنك وجودك يا أرحم الراحمين ..

آمين آمين يا رب العالمين.

ليلة الأثنين ٣ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ

الموافق ٢٠ مايو ٢٠٠٧م



البريد : الجميزة ـ محافظة الغربية ،جمهورية مصر العربية
ت : ٥٣٤٠٥١٩- ٠٤٠ ، فاكس : ٠٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
موقع الإنترنت : WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكتروني : fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com fawzyabuzeid@yahoo.com

الباب الأول

فِقْهُ تَزْكِيَةِ النُّفوس

- منهاج الصالحين
- طلاب اليقين
- ضرورة الشيط للسالكين
- سمات طبيب القلوب
- إفراد القصد بالله
- أهل الفتوة
- تزكية النفس
- الإقلال من الكلام
- إحياء الليل بطاعة الله
- الفتح الوهبي
- إخلاص القصد لله

(٥) منهاج الصالحين

الصالحون والعارفون هم في الحقيقة العلماء العاملون الذين أكرمهم الله عز وجل فعلموا شرع الله، وأسسوا عليه كل حياتهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وتوجهاتهم، ونياتهم، فكل قول يقولوه، وكل فعل يفعلوه، وكل عمل يعملوه، لا بد أن يؤسسوه على شرع الله، على المنهج الوسطي المعتدل الذي جاء به حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وشعارهم في هذا الأخذ الشرعي قول الله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [الآية (١٤٣) البقرة]

فلا تفريط ولا إفراط، لا مغالاة ولا تقصير في الأخذ بشرع الله على منهج حبيب الله ومصطفاه ﷺ، يحصلون من الشرع الشريف ما يحتاجونه إلى العمل الذي يعملون به لينالون رضاء الله عز وجل.

فإذا علموا عملوا بما علموا، وإذا عملوا بما علموا كاشفهم الله عز وجل بحقائق غيبية، وأنوار في القلوب معنوية، وخصائص ربانية، بها ينتقلون إلى رتبة أهل الخصوصية، وهذه الحقائق بدايتها عجائب الرؤيا الصادقة، ثم نور السريرة، وانفتاح عين البصيرة، ليرى بنور الله، ويكون كما قال ﷺ:

{{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله }} (١)

ثم إجابة الدعاء وتحقيق الرجاء حتى يكونون كما قال الله:

﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [الآية (٣٤) الزمر]

---

(1) سنن الترمذي عن أبي سَعِيد الْخُدْرِيّ، وتمام الحديث:{ ثُمَّ قَرَأَ رسول الله :{إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات للْمُتَوَسِّمِينَ}.

ولا يشاءون في هذا الوقت، وفي هذا الحال، إلا فراغ النفس وصفاء القلب وراحة البال ودوام الإقبال على الواحد عز وجل ثم يكرمهم الله عز وجل، فيفتح لهم في قلوبهم عيناً تتفجر منه العيون الإلهامية، وتنبثق منها العلوم الوهبية.

وهي مذاقات عرفانية في الآيات القرآنية لا تناقض الشريعة، ولا تخالف الهدي النبوي في قليل أو كثير، لكنها أذواق عالية يعطيها الله لهم ليدلهم على أنهم وقفوا على المنهج السديد، والطريق الرشيد الذي يقول فيه الله عز وجل لحبيبه ليعلن عنه:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾

[الآية (١٠٨) يوسف]

ومن اتبعني هنا إلى يوم الدين على هذا المنهج السديد من الصفاء، والنقاء، ونور البصيرة، واستنارة السريرة، والعلوم الإلهية المنيرة من الله عز وجل جزاءً لهم على علمهم وعملهم على هدى حبيبهم ﷺ.

هذا المنهج يصنع دعاة إلى الله بحالهم قبل أقوالهم، وأفعالهم قبل مقالهم، وأخلاقهم وسمتهم قبل علمهم وأقوالهم، فيجذبون الناس إلى الله كما كان منهج أصحاب رسول الله ومن بعدهم من التابعين، ومن العلماء العاملين، والأولياء، والمرشدين، والحكماء الربانيين، إلى يوم الدين.

وهذا المنهج لأنه علم وعمل، نظرى وعملى، لا بد له من حكيم رباني قطع الطريق حتى وصل إلى التحقيق، ثم رجع بأمر الله ليخبر كل رفيق بالعقبات التى تقابله، والمشكلات التي تصده عن سواء السبيل، والنوايا التي تجعل الفتح يبطئ عنه، أو لا يتوصل إليه، ولا يزال به إذا أحسن إتباعه، ومشى على هدي توجيهاته حتى يصل إلى

الفتح الرباني، والنور القرآني، كما بين الله عز وجل في أمر العبد الصالح وموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم السلام.



(٥) طلاب اليقين

فإن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، أنزل الله عليه الشرع على ديانته، وعلى ملته، وأراد الله عز وجل به الخير، فأراد له أن يصل إلى مقام التحقيق.

فأمره أن يتوجه إلى رجل سبق له سلوك هذا الطريق، ووصل إلى منازل التحقيق، ليقرب عليه المسافات، ويطوي له الأفعال والحركات والسكنات، فإن الوصول إلى الله عز وجل ليس بالحركات ولا بالعبادات، بقدر ما هو بالنيات والتوجهات، التي تصحب العبادات، وهذا عمل قلبي لا يعلمه إلا أهل القلوب بالعلم الموهوب من علام الغيوب عز وجل.

ولذلك عندما وصل إليه، وأخذ يحث الخطا في سبيل الوصول إليه، قال له: يا موسى أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر، وجاء في هذا الوقت عصفور وشرب من البحر، لأن الله عز وجل يحقق لهم ما يطلبون ويستجيب لهم فيما يريدون، لأنهم لا يريدون إلا رضاه، وهداية الخلق إلى طريق الله جل في علاه.

هذا هو الذي يجعل من عنده رغبة قلبيـــة في التـــضلع في المعـــارف الربانيـــة، والتمكن في التحقق بالحقائق القرآنية، أن يبحث عن رجل من هؤلاء، حتى يستطيع به وبسببه وعن طريقه وعلى منهجه أن يصل إلى مناه، وهو الفتح الذى يرجوه هذا العبد من الله عز وجل.

إذاً يا إخواني طريق الصالحين، ومناهج الأئمة المرشدين لمـــن أراد الفـــتح، وأن يكون من أهل الفتح، وأن يكون من الذين يقول فيهم الله:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الكهف]

أو يكون من الذين يقول الله فيهم :

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الآية (٣٠) فصلت]

أو يكون له نصيب من وراثة الكتاب، الذي يقول الله عز وجل في شأنه في كتاه وفي قرآنه :﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [(٣٢) فاطر]

وهذا الأمر كان أمر كل إنسان من أهل العلم في عصر حضرة النبي، وبعده من العصور الفاضلة، حتى أصحاب المذاهب الأربعة الإمام الـــشافعي، والإمـــام مالـــك، والإمام أبو حنيفة، والإمام أحمد بن حنبل، رضي الله عنهم أجمعـــين، وغيرهـــم مـــن أصحاب المذاهب الفقهية، لأن أصحاب المذاهب الفقهية أكثر من ثلاثين إماماً في الأمة الإسلامية، كانوا كلهم بغيتهم الوصول إلى الحقائق النورانية بالعمل بما تعلمـــوه مـــن أحكام الشريعة الإسلامية.

وكان منهج العلماء في الأزهر الشريف، ولذلك كان شيوخ التعليم في الأزهر كلهم علماء وأولياء، كانوا على بصيرة عن ربهم، وعلى نور من أقوالهم، وعلى صلاح في أفعالهم، وأحوالهم، فكانوا لا يملأون عقول التلاميذ بالمعلومات فحسب، وإنما يوجهونهم إلى المنهج السديد في السلوك الذي يأتيه به الفتح من الله عز وجل، لأن غاية القوم هي الفتح من الله عز وجل، لأن الفتح علامة على أن هذا الرجل صار من أهل الخصوصية، وهم يطمعون في هذه الخصوصية.

كان الرجل منهم يربأ بنفسه أن يكون من أهل اليمين، مع أنها منزلة عالية، وسيكون لهم درجة راقية في جنات النعيم، وإنما يريد أن يكون من الداخلين في قول الله عز وجل:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة الواقعة]

فالأول هنا هو الروح والريحان، قبل جنة النعيم ، وفي القراءة الأخرى ﴿ راح وريحان وجنت نعيم ﴾ فالأول فى هذه القراءة أيضا هو الراح ثم الريحان، والريحان هو عبير التشريفات الإلهية، والتجليات الربانية، وأزاهير عطر الحقيقة المحمدية، التي تشمها القلوب التقية النقية في حالات الفلاح، وفي أوقات الانشراح، وفي إقبالهم على الله عز وجل في صفاء ونقاء وجلاء لعين البصيرة، وتسليم كامل ظاهر وباطن لله جل في علاه.

فكل واحد منهم يطمع أن يخرج من الدنيا على درجة عالية، والدرجات العالية هي درجات المقربين، ولكي يطمئن أنه من المقربين، فكان يجد ويجتهد،

إلى أن يلوح له شيء من الحقائق التي خص الله عز وجل بها المقربين، ولا ينال ذلك إلا بعد التمكين، على يد مرشد رباني، حتى لا تلعب به الأهواء، أو تلتبس عليه الأشياء.

ربما يقول البعض أتَعَلم وأعمل، نحن نقول له: قد قال هذا القول كثير من السابقين، لكن الذي يتعلم ويعمل بمفرده قد يخطئ ويصيب، كالذي يذهب إلى الصيدلية ويبحث لنفسه عن الأدوية التي يعالج منها داءه أو سقمه أو مرضه، ربما يصيب، وربما يخطئ، وربما يزيد الداء، لكن لا بد له من طبيب يشخص الداء ثم يختصر له السبيل لإزالة هذا الداء، بكتابة الأصناف التي يتم بها فوراً إزالة هذا الداء، وتحقيق الشفاء.

ضرورة الشيخ للسالكين

والقرآن الكريم صيدلية ربانية فيها شفاء لما في الصدور، وفيها علاج لأمراض النفوس، وفيها دواء لأسقام القلوب، لكن ما هو دائي وأين دوائي؟

لا بد من رجل يقول فيه الله:

﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [الآية (١٠٨) سورة يوسف]

أخذ دكتوراه في البصيرة الإلهية، وأعطى له الإذن خير البرية، بأن يطبب غيره من العلل المعنوية، والأسقام النفسية، والأمراض القلبية، فيشخص لي الداء، ويستخرج لي من كتاب الله أو يحضر لي من سنة حبيب الله ومصطفاه الدواء، الذي يتم به

الشفاء، وعلامة تمام الشفاء، أن أكون داخلاً في قول الله:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[سورة الشعراء]

أن يكون القلب سليم، وعلامة القلب السليم، يرى حقائق الأشـــياء في عـــالم البقاء، كما ترى عين الرأس الحقائق الدانية في عالم الفناء، عين الـــرأس تـــرى مـــا في الأكوان وعين القلب ترى نور مكون الأكوان.

فينظر إلى نور الله، وإلى ما غاب عن بصر الرأس، وعين الحس، في هذه الحياة، ولكي يكون ذلك على هدى صحيح، لا بد أن يعرض أحواله على طبيب حكيم، لأن الإنسان فيه عوالم لا يعلم مداها ومقدارها إلا الحي القيوم، ربما إذا دخل في عالم منها، ظن نفسه من الذين يحسنون صنعاً، وهو في الحقيقة تائه أو زائغ عن الحقيقة النورانيـــة التى أشارت إليها الآيات القرآنية، ربما يسيطر عليه عالم الخيال، فيعيش في خيـــالات، وتظهر له نفسه خيالات يعيش فيها، ربما يظن بهذه الخيالات أنه في عالم الحقيقة وهو في عالم الخيال.

الذي يكشف له هذا الأمر الطبيب الرباني، والحكيم النوراني، الذي معه نـــور البصيرة الإلهية، والإذن من المصطفى خير البرية ﷺ.

كان سيدي عبدالقادر الجيلاني ﷺ يتعبد لله عز وجل في خلوة، وإذا به يـــرى نوراً ممتداً من العرش إلى الأرض، فسمع صوتاً يقول له في اليقظة: عبدي عبدالقادر

فقال: لبيك سيدي .

قال: إني أبحت لك المحرمات

قال: اخسأ يا ملعون.

فوجد هذا النور الظاهرى وقد تحول إلى دخان ، وقال لــه (أى إبلــيس) : كيــف عرفتني يا عبدالقادر؟

قال: إن الله لم يحرم شيئاً على لسان نبي ثم يبيحه لولي

قال: نجوت مني يا عبد القادر بعلمك وفقهك، ولقد أخرجت قبلك سبعين رجلاً مــن العابدين بهذه الطريقة.

عندما يظهر له في عالم وهمي وخيالي هذا النور، ويقول لــه إني أبحــت لــك المحرمات، يعتقد أن هذا كلام من حضرة الرحمن، فيتبع هواه ويمشي على وفق ما تأمره به نفسه وشيطانه ومناه، فيضل عن سبيل الله عز وجل.

ظل على هذا المنوال حتى جاءه الإذن الصريح،

والإذن الصريح بعد الخلاص من الأوهام، ومن الخيالات، ومن عالم الظــلال، ومن خدع النفس، ومن مساكنات الهوى، ومن غيرها من الأمور الــتى يعــالج منــها الحكماء الربانيون المريدين، إن كانوا يعرفون أو لا يعرفون :

منها ما يعالج بالمواعظ ، ومنها ما يعالج بالأحوال، فإنهم يسلطون ما أمدهم الله به من أحوال على نفوس المريدين وقلوبهم، لتطهرها من هذه النجاسات المعنوية، ومن هذه الأمراض النفسية، والأسقام القلبية ، وبعضها عن طريق المنام، وبعضها عن طريق رسول الإلهام، وبعضها في عالم اليقظة وليس في عالم المنام.

وظل على هذا الحال حتى واف ووفى وصفا، وأصبح نوراً ظاهراً، ونوراً من الله فيه يشعشع في قلبه باطناً، فجاءه رسول الله ﷺ وهو في اليقظة وقال:

يا عبد القادر حدث الناس لينتفعوا بعلمك

قال: فقلت يا رسول الله أنا رجل أعجمي [٢] ولا أستطيع أن أتحدث مع فصحاء بغداد.

فقال ﷺ: افتح فاك ، قال: ففتحت فمي فتفل فيه ﷺ سبعاً، قال: فذهبت إلى المسجد قبل صلاة الظهر وإذا بالمسجد قد غص بأهله وامتلأ عن آخره ، وأخذوني وأجلسوني على كرسي، وقالوا حدثنا بما فتح الله عز وجل به عليك.

قال: فلما نظرت إلى هذا الجمع ارتجَّ علي – أي لم يستطع أن يستحضر الكلام الذي يكلم به هؤلاء الأقوام – قال: فرأيت الإمام علي ﷺ ، قال يا بني حدث الناس لينتفعوا بعلمك، قال: قلت يا أبتاه أنا رجل أعجمي، ولا أستطيع أن أتحدث بين فصحاء بغداد

قال: افتح فاك، ففتحت فمي فتفل فيه ستاً ، قال: فقلت يا سيدي لماذا لم تكملها سبعاً؟ ، قال: أدباً مع رسول الله ﷺ ، ....فانطلق في الكلام .

وعند انطلاقه في الكلام، ولأنه مؤيد بتأييد الله جل وعلا .... فتح الله له الأسماع والأفهام، حتى كان ﷺ يُسمَع صوته على مدى سبع كيلومترات من جميع الجهات، ولم يكن هناك مكبرات صوت ولا إذاعات، لكنها العناية.

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

وأخذ ﷺ يمارس مهنته التى أقامه فيها حبيب الله ومصطفاه.



(2) أعجمي لأنه تربى في بلاد فارس– أي إيران الآن– ولد بها وتربى فيها، وإن كان هو عربي ومن آل بيت النبي.

(٥) سمات طبيب القلوب

وانظر إلى مواصفات الطبيب الذي أقامه الحبيب ﷺ، يحكيها أحد تلاميذه وهو الشيخ محمد البلخي ﷺ ......

يقول: عزمت على زيارة الشيخ عبدالقادر من بلخ – وبلخ في تركستان الآن في الجمهوريات الروسية الجنوبية – فسافرت حتى وصلت إليه في بغداد في مدرسته .

وكان العارفون يقيم لهم الله مدارس، ولا يقيمون لأنفسهم ، فعندما يكثر الإقبال عليهم يهيئ الله لهم المكان، ويهيئ الله لهم خدمة المكان، ويهيئ الله لهم نفقات المكان، ويهيئ الرجال الذين يقومون على أمر هذا المكان، لأنهم لا يريدون إلا وجه الله ولا يطلبون سواه طرفة عين ولا أقل.

قال: فوصلت إليه في مدرسته وهو يصلي العصر، قال: فصليت خلفه العصر مع طلابه، وبعد انتهاء الصلاة اصطف طلاب المدرسة ليصافحون الشيخ ويقبلون يده، فوقفت معهم في الصف، فلما وصلت عنده وأمسكت يده لأقبلها إذا به يقول لي: مرحباً بك يا محمد يا بلخي، إن شاء الله سيفتح لك على يدي، وسيكون لك عندنا خير كثير.

هؤلاء الأطباء الحكماء الذين أقامهم سيد الرسل والأنبياء ﷺ .

فلبثت عنده أُهل من علومه في مدرسته، وأعمل بما يفتح الله به عز وجل عليّ على قدري، حتى أخذني حال استوحشت من الخلق، وأحببت الخلوة، فكنت أذهب إليه لأصلي معه الفرائض وأحضر دروسه، ثم أرجع إلى خلوتي.

وبين أنا ذات ليلة أذكر الله عز وجل ......:

إذا بي أرى رجلين أحدهما معه كأس فيه شراب والثاني معه خِلعة – وخلعة يعني لبسة يلبسها الإنسان على جسده– ، قال: فسلما عليَ – وهذه علامة أن هؤلاء من الصالحين الممددين، لأن الشياطين لا يسلمون إذا أتوا لإنسان ، وإنما تُرى أشكالهم وأشباحهم فقط ... فالسلام علامة الأمان – ، قال: ثم قال لى أحدهم :

أنا علي بن أبي طالب وهذا ملك من الملائكة وقد أُمرنا أن نسقيك هذا الشراب، وهي شربة من شراب المحبة يتفضل الله عز وجل بها على الأحبة، وأن نكسوك هذه الخلعة وهي خلعة الرضا، قال: فشربت هذه الشربة وكسوني هذه الخلعة ثم غبت عن حسي ونفسي، وإذا بي أرى جمعاً كبيراً من الملائكة والصالحين والصحابة والتابعين يتطلعون إلى أعلى، وأعلى يوجد تخت عالي – وتخت يعني مقعد عالي – وسمعت قائلاً يقول:

إن الله عز وجل إذا أراد أن يتجلى على عباده المقربين، فيزيدهم نوراً، يأمر الحبيب المصطفى ﷺ أن يترل على هذا التخت فإذا نظروا إليه زادوا نوراً على نورهم، وزادوا علماً وفقهاً على ما بهم، وزادوا كمالاً على كمالهم.

وظل هذا الرجل يتقلب في الأحوال النورانية والتجليات الملكوتية قال: وبعد ثلاث سنوات، إذا بي أرى الشيخ عبدالقادر وقد وضع رِجلاً عندي ورِجلاً في مكانه، وأمسك بي وقال: يا بني لقد أُمرت أن أردّك إلى حالك

قال: فأفقت من جذبتي

فقال لي: يا بني لقد رأيت كذا وكذا وحدثني بكل ما شاهدته ورأيته، ثم قال لي: يا بني قم فاقض ما فاتك من الفرائض.

إذاً الطبيب الرباني النوراني: هو الذي يَطَّلِع على حركات قلب مريده، وينظر إلى ما بقرار نفسه، ويعلم ما بخبيئة صدره، وإن كان المريد في حال الصحوة، فإنه لا يخبره بشيء من ذلك، لأن لنا الظاهر والله يتولى السرائر، فمع تمكنه من رؤية هذه الأشياء إلا أنه لا يخبر مريده إلا إذا أخبره، لأنها سنة الله ولن تجد لسنة الله عز وجل تبديلاً

ومن هنا قال الشيوخ العارفون رضي الله عنهم وأرضاهم:

إنما القوم مسافرون ... لحضرة الله وظاعنون
فاحتاجوا فيه إلى رفيق .. عالم بالسير والطريق
قد سلك الطريق ثم عاد ... ليخبر القوم بما استفاد

وهو ما نسميه الولي المرشد، أما الولي المجذوب فإن هذا ولايته لنفسه، لكنه لا يستطيع أن يأخذ بيد غيره، فنحن لا نعترض عليه ولا نأتم به، وإنما نأتم بالعلماء العاملين، والحكماء الربانيين والهداة المرشدين، الذين عملوا بما علموا، فأضاء الله أنوار سريرهم، وكشف الله الغيب الظاهر في الأكوان والغيب الباطن في كل إنسان لأنوار سريرهم، فأصبحوا ينظرون بنور الله ليأخذوا بيد أهل القرب إلى فسيح فضاء حضرة الله جل في علاه.

ولذا قالوا في هؤلاء: لا بد من الشيخ لمن أراد أن يكون من أهل الفتح – لا بد له من شيخ يختصر له المسافة ويسهل له الأمر ويعينه بدعائه وحاله وتوجهاته على بلوغ قصده – فإن المريد ربما يرتفع عند الله عز وجل درجات ومقامات بدعوة صالحة من شيخه، يتوجه فيها إلى الله عز وجل، وهذا ثابت في سنة الحبيب المصطفى ﷺ فإن أصحابه رضي الله عنهم، إنما فازوا وجازوا بدعوات نورانية من حضرته، وكذلك من

تبعهم من السلف الصالح إلى يوم الدين، إنما يفوزوا ويجولوا بدعوات الصالحين – دعوات الصالحين هي التى تختصر المسافات – ، قيل للإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه كم بين السماء والأرض؟ ، قال: دعوة صالحة.

المقام العظيم الذي يريد أن يبلغه الإنسان منا، إن كان يريد أن يبلغ مقعد الصدق، أو من الذين يجلسون على منابر من نور قدَّام عرش الرحمن، أو أن يبشر بالجنة، أو أن يمتع بالنظر إلى وجه الله، أو أن يكون من أهل المواجهات العالية.

بم ينال هذا المقام؟ ليس فيما بين أيدينا ما يبلغ إلى هذه المقامات فإن حتى دخول الجنة ليس بالعمل، فقد قالَ رسولُ الله ﷺ:

{{ ما مِنْكُمْ أَحَدٌ يُنْجِيْهِ عَمَلُهُ }} قالوا: ولا أَنْتَ يا رسولَ الله؟ قالَ: {{ولاَ أَنَا، إلاَّ أَنْ يَتَغَمَدنِـي الله مِنْهُ بِرَحْمَةٍ }}.[٣] .وفى رواية أخرى: {{ لَنْ يَدْخُل أحَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ }} قَالُوا: حَتَّى أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: {{ حَتَّى أنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ }}

فإذا كان دخول الجنة بالمنة ..، فما بالكم بالدرجات العالية في الجنة، وبالأنوار الراقية في منازل الأخيار ومساكن الأطهار في الجنة ؟

هذه كلها منن علية، وإنعامات ربانية لا تُنال إلا بدعوة صافية، من نفس راقية إلى الله عز وجل، أُذن لها في الدعاء وفتح لها باب الإجابة ، وهذا كان حال أصحاب رسول الله ، وتلكم هي سنة السلف الصالح إلى يوم الدين.

---

(٣) رواه البخاري فـي الصحيح عن أبـي هريرةَ .

فإن المرء منا لو أخذ يجاهد نفسه، كما حكي الرجل الذي ذهب إلى حضرة النبي، وقبله إلى أصحابه يستأذن في الزنا – انظر إلى حاله يستأذن في الزنا – فهمَ به الأصحاب، فقال ﷺ دعوه ثم وضع يده على صدره وقال:

{{ اللهمَّ اغفِرْ ذَنْبهُ، وطهِّرْ قَلبَهُ، وحَصِّنْ فرجَهُ }}[٤]

فكانت هذه الدعوة بمثابة الدواء، الذي حقق الشفاء، وزال به كل ميل إلى هذا الداء، استجابة لدعوة خاتم الرسل والأنبياء ﷺ.

فدعوات الصالحين هي من هذا النبع، وهي من هذا الفيض، يتفضل الله عز وجل عليهم بالإجابة، لينيل أصحابهم وأتباعهم أسباب الاستجابة، فيكون لهم القرب من الله عز وجل بسبب هذه الدعوات، مع بذل المجهود في الطاعات، وترك المنكرات.

لا يستمرء الإنسان الأمر ويقول: ما دام الأمر بالدعوات أترك الطاعات، وإنما يبذل المجهود ويعمل بكل ما يستطيع، ولكن الذي يدركه التوفيق، والتوفيق لا يأتي لأهل التحقيق إلا بإجابة دعوة من رجل على قدم الصديق.

فإذا دعا له وفقه الله عز وجل، وإذا وفقه الله عز وجل، أتم له بنيانه وحقق له أمله واستجاب له دعاءه وأوقفه على المقام الذي يريده استجابة لدعوة هذا الرجل

([4]) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح : عن أَبِي أُمامةَ ، والحديث بتمامه : {{ أَنَّ فتىً منْ قريشٍ أَتَى النبيَّ صلى الله عليه وسلّم فقال: يا رسولَ الله، إئْذَنْ لي في الزِّنا، اقْبلَ القومُ عليه وزَجَروهُ، وقالُوا: مَهْ مَهْ، فقال: «أُدْنُهْ»، فَدَنا منهُ قريباً، فقال: «أَتُحِبُّهُ لامِّكَ؟» قال: لا والله، جعلَني الله فدَاكَ، قال: «ولا الناسُ يحبُّونَهُ لامَّهاتِهمْ»، قال: «أَفتَحبُّه لابنتكَ؟» قالَ: لا والله يا رسولَ الله، جعلَني الله فداكَ، قال: «ولا الناسُ يحبُّونَهُ لبَناتِهمْ»، قالَ: «أَفتحبُّه لاختكَ؟» قال: لا والله يا رسولَ الله، جعلَني الله فداكَ، قال: «ولا الناسُ يحبُّونَهلاخَواتهم»، قَال: «أَتحبُّهُ لعمَّتكَ؟» قَال: لا والله يا رسولَ الله، جعلني الله فداكَ، قال: «ولا الناسُ يحبونَهُ لعَمَّاتهم»، قَال: «أَتحبهُ لخالتكَ؟» قَالَ: لا والله يا رسولَ الله، جعلني الله فداك، قالَ: «ولا الناسُ يحبونَهُ لخَالاتهمْ»، قَال: فوضَعَ يدَهُ عليه وقالَ: «اللهمَّ اغفرْ ذَنْبهُ، وطهِّرْ قَلبَهُ، وحَصِّنْ فرجَهُ»، قال: فلَمْ يكُنْ بَعْدَ ذلكَ الفَتى يَلتفتُ إلى شيء }}

الصالح، ومن هنا كانت عناية الناس بأهل الطريق حتى يخرجون من الدنيا وهم في منازل القرب داخلين في قول الله:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة الواقعة]

إفراد القصد بالله

الدرس الأول والذي عليه المعول، والذي يبدأ به العارفون والصالحون للسالكين بعد تعليمهم ما لا بد منه من شرع الله، الذي يحتاجونه للعمل، وليس للجدل، لأن السالك ليس عنده وقت للجدل - يتعلم ما يحتاجه ليعمل به ولا يستبق الأحداث، لا يقول لو كان كذا سأعمل كذا.

كان أصحاب رسول الله لما أتوا سيدنا عبدالله بن مسعود ﷺ وقالوا له: لو حدث كذا ماذا تفعل؟ قال: لا تقولوا ذلك، لو حدث ذلك وأنا بين ظهرانيكم فأنا أكفيكم، ولو حدث في أي زمان أو مكان فإن الله يُوجِد في أمة النبي من يجعل لهم به مخرجاً في هذا الوقت، وفي هذا الآوان.

بعد هذا؛ أول درس للعارفين: هو تدريب السالكين المبتدئين على إفراد الله عز وجل بالقصد في كل وقت وحين، وأنا لا أقول تعليم، وإنما تدريب، فلا بد أن يتدرب المريد تدريب عملي بأن يكون أي عمل يعمله لوجه الله، فيحقق القصد ويخلص النية

قبل أن يبرز العمل، لأنه إذا برز العمل لغير وجه الله فإنه لحظ نفسي خفي أو جلي أو لشهوة ظاهرة أو باطنة حتى القول، ولذلك أول علم يعلموه للمريدين علم النية.

وهل النية علم؟ ... نعم، بل هي أساس العلم. .... السادة الصالحون والعلماء العاملون قالوا في حديث:

{{ إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى }} (٥)

هذا الحديث ربع الدين، لأنه يشار به إلى علم النية، وعلم النية: هو العلم الذي به بلوغ القصد وتحقيق الأمنية.

ربما يعمل الإنسان عملاً ظاهره الخير أربعين أو خمسين عاماً، ثم في النهاية يفاجئ أن هذا العمل فيه هوى للنفس، أو شهوة، أو غرض خفي، يجعل هذا العمل حابطاً بالكلية.

إذاً لا بد للعبد أن يتدرب على إخلاص القصد في العمل ،حتى كان بعض الصالحين يقول: "إني لا أخرج من بيتي إلا إذا استجمعت في خروجي هذا سبعين نية كلها لله عز وجل" والعمل واحد لكن الذي يختلف فيه قصد كل واحد.

فكلنا نصوم شهر رمضان، لكن أحدنا يصوم لتنفيذ الأمر، والبعض يصوم خوفاً من العقاب، والبعض الآخر يصوم لينال رضاء الخلق، وهناك من يصوم لئلا يشعر بألم العطش والجوع يوم الدين، أو ليكون خلوف فمه ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك عند رب العالمين، وأعلى ذلك من يصوم يبغي من وراء ذلك أن يحظى بنظرة يوم الدين إلى وجه رب العالمين ... {{صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ }} (٦)

(٥) صحيح البخاري عن عمرَ بنَ الخطّاب رضي اللّه عنه.
(٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ ، صحيحَ البخاري ومسلم.

وإذا استطاع أن يجمع هذه النوايا فهو من المكثرين، وإن كان له نية واحدة فهو من المقلين، فكلما أكثر النوايا كلما زادت له العطايا، وهذا فقه الصالحين :

ففقه الصالحين زيادة النيات وإخلاصها لله في الأعمال التي نعملها في كل وقت وحين أجمعين.، نحن نسلم على بعض، واحد يسلم من أجل السلام، وواحد يسلم من أجل أن يحظى بقول المصطفى عليه الصلاة وأتم السلام فى معنى حديثه الشريف :

{{ نَظْرَةٌ فِي وَجْهِ أَخٍ فِي اللهِ عَلَى شَــــوْقٍ خَيْرٌ مِنْ اعْتِكَافِ عَامٍ فِي مَسْــــجِدِي هَذَا }}

وواحد يسلم من أجل أن السلام يجعل الإنسان يغفر الله له ما ارتكب من الذنوب :

{{ مَثَلُ الْمُؤْمِنَيــــْنِ إِذَا الْتَقَيـــــا مَثَلُ الْيَدَيْنِ يَغْسِـــــلُ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى }} (٧)



أهل الفتوة

فالجهاد هنا في النوايا، حتى كان الإمام أبو العزائم ﷺ يقول:

لي نوايا صرفتها في الشرور ... غير أني أولتها بالنور

أى نوايا ظاهرة........من يرها يقول هذا شر، لكن هو يبغي من ورائها خيراً

(7) رواه ابن شاهين عن دينار عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ.جامع الأحاديث والمراسيل.

عظيماً لا يعلمه إلا العظيم عز وجل، ومن يداوم على ذلك هم أهل الفتوة من الصالحين الذين يرغبون في إرضاء الله ويريدون أن يسقطوا من أعين خلق الله، من الشهرة أو السمعة، فيحرصون على أن يكون عملهم في طي الخفا أو في خفاء الخفاء، فإذا العمل ظهر واشتهر يُظهر أي عمل يجعله يسقط من أعين البشر ليبقى العمل سراً بينه وبين الله عز وجل.

فئة عالية من الصالحين مثل سيدنا على زين العابدين ﷺ وأرضاه ابن سيدنا الإمام الحسين، لما انتقل إلى جوار ربه ووجدوا مائة بيت في المدينة، وقد انكشف أهلهم ولم يعدوا يجدون طعاماً، ولا ضروريات الحياة فسألوهم: كيف كنتم تعيشون؟

فأجابوا أجمعين: كانوا إذا أهلَّ الهلال جاء رجل فدق الباب، فإذا قلنا من بالباب؟

ذهب فنخرج فنجد جوالاً فيه دقيق، ووعاءاً فيه سمن، وصرة فيها مال، ولا نعرف من الذي أحضر ذلك، فمع أنه كان مرفّهاً وعنده العبيد وعنده الخدم وعنده الأبناء، ولكنه كان يصنع ذلك بنفسه لكي لا يطلع على عمله إلا ربه عز وجل، فلولا أنهم عند غسله شاهدوا في ظهره ما يشبه أنه كان يشتغل عتالاً ويحمل أثقالاً على ظهره لما عرفوا عنه ذلك ، وفي مثل هذا يقول الله عز وجل:

﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[٢٨ الكهف].

تزكية النفس

فأول مرحلة في الطريق أن يسقط المرء من حساباته أعين الخلق ليعالج داء الشهرة الكامن في النفس، لأن آفة الآفات هي النفس.

"تجاوز نفسك تنل أنسك"

وعندما وقف أبو يزيد بين يدي ربه وقال: يا رب كيف أصل إليك؟

قال: يا أبا يزيد دع نفسك وتعالى.

أي أترك نفسك وتعالَ ، الباب مفتوح .... ، لكن لا يدخل أحد بنفسه.

"مكتوب على حضرة القدوس لا يدخلها أصحاب النفوس"، فطالما أنا أتطلع لأن أكون الشيخ فلان وأتطلع أن يكون لي أتباع ومريدين، وأتعشم أن تظهر لي كرامات يعدها الناس هنا أو هناك، وأطمع أن يطير لي صيت وشهرة، وأحب أن أسمع الثناء من الخلق، وتتلذذ النفس بهذا الثناء فأنا أحتاج إلى علاج قرآني، وهذا العلاج لا يستطيع الإنسان أن يتمه بنفسه، ولكن بمعونة شيخ يعينه على نفسه:

﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [الآية (٣٢) النجم]

لأن وظيفة رسول الله: ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ﴾ ١٥١ البقرة

فهو الذي يزكي النفس ويطهرها، أو من ورث من العلماء العاملين مقام حضرته، لكن أنت لا تستطيع بمفردك أن تطهر نفسك، فالإقبال على العبادات الذي يعتقد البعض أن به التزكية يزيد النفس غروراً وإعجاباً.

فالإنسان عندما يزيد في العبادات، يغتر بنفسه، ويرى أنه أحسن من فلان وعلان وهذا نفسه داء وبيل لأنه داء إبليس.

﴿ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الآية (١٢) الأعراف]

إذاً ما المخرج؟

لا بد من الطبيب الذي يداوى النفس، ويعالج الأمراض واحد تلو الآخر..، آخر مرض يتعالج منه الإنسان قال فيه الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ:

"آخر داء يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة"

فالنفس دائماً داعية الرياسة، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

والنفس داعية الرياسة فاحذراً ... فرعونها تنجو من الداء الدفين

إذاً أنا محتاج للطبيب ليعالج لي نفسي، لأن اللبس كله من النفس، نوازعها.. آفاتها.. شهواتها.. حظوظها.. أهوائها.. فلا بد أن يعالج هذه الأدواء.

فإذا تم علاج النفس فوراً يبقى الإنسان في مقام الأُنس، وما الدليل على علاج النفس؟ وأن الإنسان ماشي خطوات طيبة نحو الأُنس؟ أنه يتهمها دائماً ولا يرى أبداً في وقت أنه أحسن بل دائماً يتهمها أنها مسيئة، وأنه مقصر.

ولذلك كان الشيخ أحمد بن ادريس ﷺ ذات مرة مع إخوانه يطوف حول الكعبة ورأى بعضهم وقد علاهم الشوق، ومنهم من علاه الحنين، ومنهم من علاه الوجد، فقال لهم ﷺ مؤدباً وهو نعم المؤدب: "سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير".

أي أن الذي يسير إلى الله دائماً يتهم النفس، قال البوصيري ﷺ:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

فيوقف الإنسان نفسه أمامه، يتفقد عيوب نفسه.

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ ﴾ [الآية(٢٠) النمل]

أي تفقد الحقائق التى فيك، ويرجع للروشتات التى وضعها الصالحون لعلاج النفس، وأبرزها تتضمن الإقلال من الطعام، والإقلال من الكلام، والإقلال من المنام، وذكر الله عز وجل على الدوام.

فالإقلال من الطعام ؛ أمره مشهور ومعروف بالصيام ، وأما الإقلال من الكلام والمنام فيحتاج إلى شيء من التفصيل ....

الإقلال من الكلام

فالذي لا يكف عن الكلام مع الخلق، متى يسمع كلام سيد الخلق؟ ومتى يسمع هواتف الحق؟ ومتى يسمع كلام ملائكة الحق؟

﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الآية(٣٠) فصلت]

لقد ذكر لنا القرآن أن النبي الذي طمع أن يتكلم مع الله قال:

﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم]

فمن أراد أن يتكلم مع الملائكة، ويتكلم مع الله، لا بد أن يقلل من الكلام مع الأنام، ليتكلم مع أهل الدرجات العلا ومع الله عز وجل ، وعندما يبلغ مقام العظــام، فطام النفس عن أهوائها وحظوظها وشهواتها:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ وهم المرسلون..﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ البشرية ... [الآية(٥١) الشورى]

والنفس وشهواتها إذا احتيت الروحانية، وغابت نوازع النفس بالكلية، وأصبح الإنسان روحاً في هيكل إنساني، هنا يسمع بالسميع، ويبصر بالبصير، ويتكلم بالمتكلم:

((كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به))

لكن طالما لسان البشرية يتكلم: يبقى لسان الإلهية، ولسان الــروح، ولــسان القلب أخرس لا يتكلم.

فعلاجات الصالحين لمن أراد الترقي، لينال مواهب العارفين ودرجات المقــربين هي ما ذكرناه، حتى أن الواحد منهم في البداية كان يتدرب.

الشيخ مكين الأسمر ﷺ وأرضاه، والذي بلغ شأنه أن شيخه الشيخ أبا الحــسن الشاذلي قال في شأنه: "مكين الدين رجل من الأبدال" الذين بدل الله صفاقم وغير الله أحوالهم، كان يقول ﷺ عن بدايته، وكان يشتغل خياطاً: كنت أجلس في بدايتي مــع نفسي كل يوم قبل صلاة المغرب، فأعد كلماتي التي تكلمت بها في ذلك اليوم، فأجدها بضعة عشر كلمة.. إحدى عشر.. إثنى عشر.. ثلاثة عشر.. فأستعرضها، فما وجدت فيها من خير حمدت الله تعالى عليه، وما وجدت فيها غير ذلك استغفرت الله تعالى.

إحياء الليل بطاعة الله

أما الليل فكانوا يجعلون الليل لله، الليل ليس فيه شيء لخلق الله، إذا أذنَ المغرب فكانوا يجعلون هذا وقتاً طيبً مع الله عز وجل، والخلق يكفيهم النهار.

((الليل لي ولأحبابي أنادلهم، هم صفوتي من عبادي، هم مني ولي))

فكانوا يجعلون الليل لله، ولذلك كانوا لا يتحدثون بعد العشاء تأسياً برسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ إذا صلى العشاء ما لم يكن هناك مهمة يدخل بيته، ويغلق عليه ولا يخرج، وكان الإمام عمر مع شدة مهمته كخليفة للمسلمين، فكان يقول ﷺ: "جعلت النهار لرعيتي وجعلت الليل لربي فإن نمت نهاراً ضيعت رعيتي وإن نمت ليلاً ضيعت نفسي".

فهؤلاء القوم هم الذين يقول فيهم الله لسيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

((يا داود إن لي عباداً من عبادي أحبهم ويحبوني وأشتاق إليهم ويشتاقون إلي وأذكرهم ويذكروني، من سلك طريقهم أحببته ومن عدل عنهم مقته، فقالت الملائكة: يا ربنا وما علامتهم؟ قال: هم عباد من عبادي يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعي الشفيق غنمه، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفُرشت الفرش ونُصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه، افترشوا إلي أقدامهم ونصبوا إلي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلي بإنعامي، فمِن صارخ وباك

ومن متأوه وشاك ومن قائم وقاعد ومن راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشكون من حبي، أول ما أعطيهم ثلاث: أقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم، والثانية لو كانت السموات والأراضين في موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة أقبل عليهم بوجهي أرأيت من أقبلت عليه بوجهي أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه)).

فكان مبدأ القوم .....

لما يأتي غروب الشمس يكون هذا وقت الروح، ... وقت النفس والجسم انتهى وهذا وقت الروح ... :

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [سورة غافر]

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) ﴾ [سورة الروم]

يقبلون على الله بالكلية ليعبروا عتبات النفس، ويصلوا إلى صفاء القلب وطهارة الفؤاد، ويأنسوا بالله عز وجل، أو بأنواره، أو بأسراره، أو بأخباره، أو بجنانه، أو بعالم الطهر والبقاء والنقاء، أو بعوالم الصالحين والنبيين والمرسلين، يأنسوا بهم في المنام أو في اليقظة.

وهذه خطة لا بد أن يضعها المريد لنفسه ...!!

أما إذا كان المريد يقضي وقته في الغفلة، واللهو، والسهو، والبطالة، وكثرة الكلام، ... ثم بعد ذلك يشوش على جهاز استقباله الرباني بما يسمعه من الأنام، وبما يراه من محطات الإعلام في كل ليلة، فكيف يرى ما لا يراه الناظرون ؟ ..!!

وكيف يستشعر أحوال الصالحين ؟ ..!!

وكيف تسير روحه إلى ملكوت رب العالمين ؟ ..!!

وكيف تطير روحه إلى سيد الأولين والآخرين ﷺ ... ؟؟!!

لابد أن تكون روح هامت ... فتسامت ..،.. فطارت على أجنحة الــشوق إلى حيث أوقفها الطوق ... فأذاقها الله عز وجل من هذا الشراب الذي يــسقيه لأهــل الذوق...ثم طهر لبها ... وخلصها من أدرانها وسفلها، .... وأشهدها في عالم البقـــاء .... ما تتنعم به من مواهب ربها عز وجل.

فالإنسان لو سلك بنفسه فقط ...

فإن نفسه تضحك عليه وتتلمس له الأعذار ، وتتلمس له المغفرة عند الأوزار !!، وإن لم يصنع موجبات المغفرة التى ذكرها العزيز الغفار !! ، ولم يمشِ على منهج الأبرار ..!! فإذا أراد أن يلزمها بجهاد تقول له:

" إنت فين والجماعة دول فين !!!! .. ، هذا الجهاد كان في أيام حضرة النبي، كانوا فارغين من الشواغل ولم تكن ورائهم مصالح ولا مشاغل !! وأنت عندك مشاغل وعندك عيال وعندك كذا ..."

ولا تزال به إلى أن تثبِّط همته، وتجعل عزيمته تخور، وبالتالي تجعل إنتاجه وفتحــه الوهبي من عند الله عز وجل يبور ...!! ...

حتى لو كان عنده شيء من الكلام يعجب الأفهام .. تعيِّشُه في الأوهـــام !! ، فتقول له في نفسه: أنت رجل من الصالحين وحولك سمِّيعه ..، هات كتاب فـــلان .. واحفظ وقول ... ليزيد عدد المريدين !! ، وماذا تفعل بالمريدين؟!!

نفرض أن الخلق أجمعين اتبعوك، هل يغنوك؟!! أو هل ينفعوك؟!!

لن ينفعك إلا الفتح الوهبي من عند حضرة النبي أو من عند الله عز وجل.



الفتح الوهبي

والفتح الوهبي لا يأتي إلا لقلب من الخلق خلى، ومن الحول والطول بـرى، لا يرى لنفسه عملاً ولا أملاً، وإنما جاهد نفسه حتى رأى فضل الله، وتوفيق الله هو الذي يحيط به من كل الوجهات، وهو الذي يحركه في كل الأحوال والسكنات، ويقول كما كان يقول الإمام أبو العزائم ﷺ عندما يريد الصلاة، كان يقول عندما يقف بين يدي الله: "بك لكَ أصلي" أي أنا ليس معي شيء وإنما بمعونتك وبتوفيقك وبحولك وطولك بك أصلي.

لكن من الذي معه حول أو طول؟

هذه أحوال العارفين، ولا يزال أحدهم على ذلك حتى يصل إلى حال يقول فيه الإمام أبو العزائم:

علِمت نفسي أني كنت لا شيئ ... فصرت لا شيئ في نفسي وفي كلي

به تنزه صرت الآن موجوداً ... به وجـودي وإمدادي به حـولي

ومن أنا ..عدم الله جملني ... فصرت صـورته العليا بلا نيـل

جهاد النفس ....:

- لا ينتهي حتى مع كمَّل العارفين حتى خروج النفس الأخير.
- لا بد أن يكون على يد شيخ سعيد أسعد بالأذن من النبي الفريد ﷺ.
- ولا بد أن يسلم الإنسان له ويكون عوناً له على نفسه، يطلب منه النصح ويطلب منه التوجيه ويتهم دائماً نفسه.

لأن علاج النفس هو الذي يُكسب الإنسان الأُنس.

هذا هو اللوح الأول الذي يذاكر فيه الإنسان، يذاكر في لوح نفسه، يتفقد نفسه ليعرف نوازعها ونزغاتها وأهوائها، ويبدأ بمعونة شيخه يعالجها، وإذا أكرمه الله ببعض الفتح لا يتعجل حتى يتم الأمر ... إذا رمى الشبكة وأتت له بقليل من السمك الصغير، لا يرضى بالدون .. أنا أريد اللؤلؤ والمرجان الذي يوجد في القاع، والذي جعله الله للأفراد، فلا يرضى بالهوامش التى يفيض بها الله على السالكين في البداية ليقويهم على بلوغ النهاية.

كالرؤيات الصادقة فلا يقف عندها ويكتفي بها، بل يطلب المزيد لأن الرؤيا جزء من المنهج من ستة وأربعين جزء، أنت أخذت جزء من ستة وأربعين جزء ووقفت عنده، ومن الممكن أنك لم تأخذ هذا الجزء كاملاً .... بل أخذت بعضاً منه !!! ، أين بقية الأجزاء؟؟ !! ....

لذا دائماً السالك يطمع في المزيد، من فصل الحميد المجيد، ليس المزيد من الدنيا أو المال، أو من المريدين أو من السالكين، ولكن المزيد من فضل الله جل في علاه، فيمشي على هذا المنوال، حتى يتم الله عز وجل له المراد وبعدما يتم له المراد، يتفضل

عليه الأستاذ النبيل ﷺ فيعطيه الإذن، كبقية الصالحين، كالشيخ عبدالقادر الجيلاني.

ومثله الشيخ الجنيد .. إخوانه قالوا له: حدثنا بما فتح الله عليك ، قال: فقلت في نفسي حتى يأتي الإذن من رسول الله ﷺ.

فذهبوا إلى الشيخ سرى السقطى وقالوا له: مُرْ الجنيد يحدثنا.

فقال له: يا جنيد حدث إخوانك بما فتح الله عليك .

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يدخل في فصل المتعلمين ويقول: يا معشر المريدين لا تحدثونا عن غيركم، ولكن حدثونا بما فتح الله به عز وجل عليكم.

وظل الجنيد حتى رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال: يا جنيد حدث إخوانك بما فتح الله عز وجل به عليك

واستيقظ قبل الفجر من هذه الرؤيا، وذهب لشيخه ودق عليه الباب ليخبره وإذا به يقول له من خلف الباب: يا جنيد، ألم يكفك حتى أرسلنا رسول الله إليك.

فدخل المسجد فوجد المسجد غاصاً بأهله "إذا أقاموك أعانوك، وإذا أقمت نفسك تركوك" وإذا بأهل المسجد يقولون له: يا جنيد حدثنا بما فتح الله عز وجل عليك، وإذا برجل قال له: يا جنيد، ما معنى قول رسول الله ﷺ:

{{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله }}- سبق تخريجه.

فنظر إلى الأرض ثم رفع رأسه، وكان في وقتها لا يتزي بالعمائم إلا العرب ، أما أهل الأديان الأخرى فلا يتزيون بالعمائم ، وهذا الرجل كان يلبس عمامة ، فقال الجنيد وقد نظر إليه:

معناه أنه قد آن الآن أوان إسلامك يا نصراني !! ، فانطق بالشهادتين .

فقال الرجل: صدقت ونطق بالشهادتين، ثم قال: لقد امتحنت قبلك أربعين رجلاً ممن يدعي المعرفة فلم يعرفني أحد منهم قط.

إخلاص القصد لله

هذه بداية المريدين، يقول فيها الإمام أبو العزائم في أول سطر يكتبه في لوح النفس يطالعه فيه المريد:

"على السالك أن يتمرن على تفريد الله في بدايته ليصل إلى توحيد الله في نهايته"

ومعنى يتمرن على التفريد، أي يتمرن أن يفرد الله بالقصد عند كل عمل فيجعل همه عند كل عمل ونيته عند كل عمل هي وجه الله، وهذه هي البداية لأهل مشاهد النهاية، أن يمرن نفسه على أن يجعل كل عمله وكل قوله لله.

إذا أراد أن يتدرب على ذلك السالك، لا بد أنه يقلل من المهالك، يقلل من الكلمات، لأنه لا يتكلم إلا إذا وزن الكلام، ونظر إلى الوجهة في باطنه التى من أجلها ينطق بهذا الكلام، ولا يتحرك حركة إلا إذا وزنها بميزان نيته ، لَمِ هذه الحركة؟ لله أو لغير الله؟ ، فإذا صار هكذا يكون كما قال ﷺ لسيدنا معاذ بن جبل :

{{ أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ }} (٨)

وفى روايه أنه ﷺ قال لأبي ذر:

(8) رواه الحاكم ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه .

{{ يَا أَبَا ذَر أَخْلِصْ يَكْفِكَ قَليلُ الْعَمَل }}

فلا تهتم بالعمل الكثير ولكن المهم الإخلاص فيه:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الآية(٥) البينة]

والإخلاص أن يخرج كل شهوات نفسه، وكل شهوات حظه من الباعث أو الغرض الباطني عند العمل، فيكون العمل خالصاً لله، فإذا كان العمل خالصاً لله، فالقليل عند الله كثير.

أما إذا لم يلاحظ ذلك، فإن الأعمال وإن كانت كثيرة في نظره، ربما تغره وتسره فتضره، لأنه ربما يعجب بها، أو يدل على غيره بها، أو يباهي غيره بفعلها، أو يفتخر بلسانه بين الأقوام ويتحدث بشأنها، وتتلمس نفسه له الأسباب وتقول:

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الضحى]

فلا يستطيع أن يلج إلى أحوال الصالحين، ولا أن يدخل في رحاب المقربين، لأن رحاب الصالحين، ومواهب المقربين، لا يدخلها إلا قلب صفى من كل كدورات الدنيا، ومن كل شهوات النفس، ومن كل الحجب الظاهرة والباطنة، وأصبح صاحبه لا يقصد إلا وجه الله عز وجل.

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا إخلاص القصد وصفاء النية وحسن الطوية وأن يرزقنا دائماً وأبداً هذه المواهب النورانية الإلهية ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الثاني

مقامات الحجِّ

- مقامات الحجِّ
- سياحة الحجِّ المعنوية
- حجُّ العارفين
- الرجال في القرآن

مقامات الحج

كلمة الحج معناها في اللغة القصد، حاجُّ البيت يعني قاصد البيت، ولذلك أنواع الحج تكون على حسب أنواع القصود.

من الناس من يقصد البيت، ومن الناس من يقصد أنوار الله الظاهرة في البيت، ومن الناس من يرفع الله له الستائر عن أسرار البيت، ومن الناس من يقصد رب البيت عندما يتوجه بجسمه إلى البيت، وكله حج مع اختلاف الدرجات وتباين المقامات.

سيدي أبو اليزيد البسطامي ﷺ يحكي هذه الأطوار التي مر بها في زياراته إلى البيت فيقول ﷺ: "حججت أول مرة فرأيت البيت ولم أرى رب البيت، وحججت المرة الثانية فرأيت البيت ورب البيت، وحججت المرة الثالثة فرأيت رب البيت ولم أر البيت".

ومولانا الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه أشار إلى هذه الحقيقة فقال:

أطوف وحول مجلاه طوافي ... ورسم البيت يمحى باليقين
وكيف ترى عيون الروح كوناً ... وتشهد حسن جنات وعين
ووجه مكون الأكوان حولي ... يُرى جهراً لكل فتى مكين

فدرجات الحجيج على حسب قصودهم من الحج، منهم من يذهب بقصد محو الزلات، ومنهم من يذهب بقصد زيادة الحسنات، ومنهم من يذهب بقصد زيادة الفضل والمنن والفتوحات، ومنهم من يذهب بلا علة ولا أمل وليس له غاية إلا وجه مكون الكائنات، فكل رجل على حسب همته وعلى حسب مُنيته وعلى حسب غايته وعلى حسب قصده ونيته يواجهه الله عز وجل ببغيته.

فالإمام أبو العزائم وهو من هؤلاء الرجال يقول:

وغاية بغيتي يبدو حبيبي ... بعين الروح لا يبدو خفياً

وعلى هذا فالذي ينوي حجاً للآثار، يبغي أن يشهد آثار الخليل في بنائه لبيت الجليل، فهذا صاحب سياحة مُلْكية فيطوف بالبيت الذي بناه الخليل وإسماعيل، ويسعى بين الجبلين اللذين سعت بينهما أم إسماعيل، ويذهب إلى منى حيث الموضع الذي أخذ فيه الخليل إسماعيل ليذبحه، وتعرض له الشيطان فرماه، ثم يقف بالمكان الذي عرَّف الله به إبراهيم مناسك الحج أو تعارف فيه آدم على حواء (عرفات)، فهذا حج لزيارة الآثار.

سياحة الحج المعنوية

وهناك حج لمشاهدة الأنوار التى تجلى بها على هذه الأماكن المباركة، وصاحبها صاحب سياحة ملكوتية، فيشهد بعين رأسه هذه الآثار، وعين القلب ترى الأنوار والتجليات والإكرامات والعطاءات، التي تتنزل على البيت لزوار البيت، وتشهد كذلك مشاهد حسية.

كيف أن المطاف وهو مكان محصور وضيق يسع هذه الجموع الغفيرة في وقت واحد، ولم نسمع أن رجلاً مات تحت الأقدام؟ لأن المطاف يتسع ويتمدد ليسع الجميع في وقت واحد مهما كان عددهم ومهما كان تعدادهم، وخدم المكان هم الملائكة الكرام، الذين وكلهم الله بخدمة المكان، أليس لكل قصر جمهوري جهاز إدارى؟

فما بالك بكعبة الله وبيت الله إن فيها جهاز إداري لا يعد ولا يحد من باب:

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الآية(٣١) المدثر]

جهاز وظيفته الأخذ بيد الضعفاء والمساكين، فالذي يقع يجد من يمد يده إليه ويقيمه، لكنه يأتي في صورة آدمية حتى لا يحدث له شيء، ولذلك تسمع من يقول لك أني وقعت في الطواف لكن رجل مد يده وأخذني، من هذا؟

يقول: رجل مغربي أو ليبي، وفي الحقيقة لا هو مغربي ولا هو ليبي، لكنه من فرق الإنقاذ الإلهية التى تدور حول البيت لتأخذ بأيدي هؤلاء الناس، بل إن منهم من يقف على أبواب البيت ينفحون بمضخات إلهية نورانية القوة في أجساد الداخلين لأداء هذه المناسك، ولا أحد يرى شيئاً.

لكن الملاحظ أن الذي لا يستطيع أن يمشي ويتعكز على اثنين ويطوف ويسعى..كيف؟ ومن الذي مده بالقوة ومده بهذه المعونة؟ هو الله عز وجل لكنه جعل لكل شيئ سبباً.

ومنهم في هذا الموضع من يتولون إرشاد التائهين، فمعظم الحجاج يتوهون وخاصة في منى، لكن لا أحد يتوه إلا ويرجع، من الذي يرجعه؟ يقول لك: واحد أخذني إلى أن أوصلني للمكان أو الخيمة الخاصة بي، من هؤلاء؟ ملائكة في صورة إنس.

وكذلك "منى" قال ﷺ:

{{ مَثَلُ مِنىً كَالرَّحِمِ فِي ضِيقِهِ فَإِذَا حَمَلَتْ وَسَّعَهَا اللَّهُ }}(1)

(1) عن أبي الدَّرداء رضَي اللَّهُ عنهُ. ،رواه الطبراني في الأوسط.

كل ما يزيد العدد كل ما تتسع منى، مع أنها مكان منحصر بين جبلين لكنـــها تتـــسع الثقلين لو اجتمعوا فيها.

من الذي يرى هذه المعاني؟

الذي يرى بعين القلب وعين اليقين وعين الفؤاد، لكن الذي يرى بعين الرأس لا يرى إلا الجبال والأحجار.

أيضاً من الأشياء الحسية الملموسة كل الناس ترمي أحجار ، والرمى .. أيـــن يذهب ؟!

قال سيدنا عبدالله بن عباس ﷺ فيما رواه عن رسول الله ﷺ فى معنى الحديث:

{{مَا تُقُبِّلَ مِنْهَا رَفَعَهُ اللهُ ، وَمَا لَمْ يُتَقَبَّلْ بَقِيَ فِي مَكَانِهِ ، وَإِلا لَوَجَدْتُمُوهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ }}

هذه كلها آيات بينات محسوسات لكن من الذي يراها؟

الذين قال فيهم الله: ﴿ ليشهدوا ﴾ وليس لينظـــروا أو لـــيروا أو ليبـــصروا، والشهود يكون بعين القلب:

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الآية (٢٨) الحج]

بعض الجماعة العلماء قصروا المنافع على التجارة، والذي يحلق والذي يـــذبح، وهذه المنافع خيرات دانية وحصائد فانية .. لكن المنافع الراقية الباقيـــة هـــي المنـــافع المعنوية، كالذي يشهد إجابة الدعاء، والذي يشهد تحقيق الرجاء، والذي يشهد تمـــام الشفاء، والذي يشهد ذهاب كل داء، والذي يشهد أنوار الله عز وجل التى تتنزل في كل الأنحاء.

من هذه المنافع: كم من مريض بمرض أعجز الأطباء، ويذهب إلي هناك ويأتيه في لحظة الشفاء، وكم من إنسان احتار في أمر هذه الحياة، ولم يجد له مخرجاً وعندما يتوجه إلى بيت الله ويدعوا الله يجد أن هذا الأمر يتيسر بأمر الله بإجابة الدعاء مباشرة.

ونحن نسمع قصصاً في هذا الموضوع كالذي لم يكن ينجب، وذهب إلي هناك وربنا رزقه بالذرية الطيبة، والذي كان مريضاً وذهب إلى هناك ورزقه الله بالشفاء، والذي كان خائفاً ويروح إلى هناك ويرزقه الله بالأمن .... وأشياء لا يستطيع المرء عدها وكلها منافع للإنسان، منافع معنوية يراها أهل الإيمان بالعين التى يقول فيها الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ:

فحدق أعين الإيمان وانظر ... ترى الأكوان تؤذن بالنفاد
فمن عدم إلى عدم مصير ... وأنت إلى الفناء لا شك غادي

فالذين ينظرون بعين الإيمان، يرون الأكوان ظلاً زائلاً وعرضاً حاضراً يأخذه البر والفاجر .... "" ما لنا ومال الدنيا ....."" ....

أما الذي يحدق أعين الفؤاد ؛ فسيرى أنوار القرب وأنوار الوداد، ويشاهد أن الله يتجلى على هذا البيت في كل يوم وليلة بمائة وعشرين رحمة، ويرى آثارهم ويترل على قلبه ما شاء الله له منها ، وهذا وارد بالحديث الشريف أن هذه الرحمات منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين.



(٥) حج العارفين

وهذا كله في مراتب السالكين، فإذا ارتقى إلى درجات العارفين فإنه يعلوا عن كل عالم الحجارة والطين، ويشهد عالم الصفاء بعين اليقين "تشهدها الـروح في عـين اليقين".

فيرى أن للجسم كعبة، وللاتجاه للصلاة قبلة، ويرى أن للقلب كعبة، وكعبـة القلوب هو الحبيب المحبوب ﷺ تطوف حوله القلوب إذا خلت من العيوب، ولـذلك يقول الله عز وجل لنبيه موسى وأخيه:

﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الآية (٨٧) يونس]

وكيف يطوفون حول كعبة الأرواح؟

يقول الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

أطوف حوالى كعبة الأرواح ... بسبع صفات من ضيا مصباحي

فهذا طواف أهل الفناء حول إمام الرسل والأنبياء، طواف في عالم الضياء وليس في عالم الفناء، تطوف الحقيقة التى فيك بأصلها.

لَمَ تطوف الأجسام حول الكعبة؟

قيل أن الله عز وجل لما أمر جبريل أن يأتى بتراب آدم أخذه من موضع الكعبة، ولَمَ موضع الكعبة؟لأن الله عندما خاطب الأرض والسموات وقال:

﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة فصلت]

قيل الذي أجابه هو موضع الكعبة، فشرفه أن خلق منه طينة آدم وسلالة آدم، والشيء يحن لأصله، والشيء ينجذب لأصله، ففي الأجساد الآدمية جاذبية طينيـــة إلى الأحجار التى كونت منها الكعبة، أو موضع الكعبة، لأنها أصل خلقتها على حـــسب قول هؤلاء العارفين رضي الله عز وجل عنهم أجمعين.

وكذلك القلوب خلقت من نور الحبيب المحبوب، قال ﷺ:

{{ أَنَا مِنَ اللهِ وَالمُؤْمِنُونَ مِنِّي }} (٢)

وفى رواية {{ من نوري }}

فمنه خلقت القلوب والأرواح لأهل المعاني، فتحن القلوب إلى أصلها، فتدور حـــول الحقيقة المحمدية بعد فنائها عن شهواتها وحظوظها وأهوائها، وبقائها بربها عز وجـــل، وهي في هذا المقام تتحقق بقول الله:

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ [الآية (١٢٢) الأنعام]

يعنى عن حظه وهواه وصفاته الدنية وأخلاقه البشرية وأوصافه الطينية

﴿ فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ بكتاب الله وبمنهج حبيب الله ومصطفاه

﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الآية (٢٤) الأنفال]

﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الآية (١٢٢) الأنعام]

(2) أورده الدَّيلمي عن عبد الله بن جراد (الدرر المنتثرة).

هذا النور من باب:

((كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به))

فتطوف الحقيقة النورانية، وهي من عالم البقاء ومن نور لا يتجزأ، "من نوري" يعني إفاضة، فيفيض الله من نور حبيبه على نور أصفيائه وأنبيائه ورسله وأوليائه فيصبغون بصبغته ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ [الآية(١٣٨) البقرة]

فالحقيقة الباطنية إذا وهبت الأنوار الإلهية، تطوف حول أنوار الحضرة المحمدية، والطواف هنا لتقتبس منها فوائد، وتحصل منها على فوائد من العلوم، وعلى حقائق من الفهوم، ويباح لها أن تطلع على كنوز من الأسرار، وعلى مخازن جهزها النبي المختار، بالفضل للأبرار والأخيارو فتطوف لترى هذا الفضل وتشهد هذا النور الإلهي، وهذا العطاء الرباني ويقال لها:

﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الآية(٣٩) ص]

هذا الطواف بقول فيه الإمام أبو العزائم:"أطوف وحول مجلاه طوافي" والمجلى هو حقيقة سيدنا رسول الله ﷺ، التي انجلت فيها المعاني الإلهية والأوصاف الربانية والتجليات القدسية، لأن الله في ذاته لا يستطيع أحد من مخلوقاته، أن ينكشف على أي حقيقة من حقائق ذاته، ولكن لا بد من مرآة يظهر الله فيها للأخيار والأطهار ما يستطيعون أن يتحملونه من أوصافه العلية، ومن صفاته الربانية ومن تجلياته القدسية وهذه المرآة وهذه الشاشة هي حقيقة رسول الله ﷺ.

وبالمثال يتضح المقال ...

كل قنوات البث الفضائية تبث بيننا الآن في هذا المكان لكن من الذي يراها ؟.. لازم شاشة لكي تظهر فيها هذه البرامج وهذه القنوات وهذا البث ....!!!

لكن هل يستطيع أحد أن يراها الآن؟

لا ....، لكن أين نراها؟

في شاشة، والشاشة معها جهاز استقبال يستقبل الإرسال .... والشاشة التى تستقبل إرسال "كنت كنزاً مخفياً"... إرسال "كنز العماء الأزلي" ...، الكنز المطلسم الذي لا يستطيع أن ينظر إليه بصر، لأنه يقول فيه سيد البشرﷺ:

{{ إِنَّ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ، مَا تَسْمَعُ نَفْسٌ شَيْئاً مِنْ حِس تِلْكَ الْحُجُبِ إِلاَّ زُهِقَتْ }} [٣]

وقول جبريل للنَّبِيُّ ﷺ : {{ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٌ مِنْ نُورٍ أَوْ نَارٍ لَوْ رَأَيْتُ أَدْنَاهَا لاَحْتَرَقْتُ }}[٤].

لا يستطيع أحد تحملها إلا حبيب الله ومصطفاه.

وليس هذا لنا فقط لكنه لكل أنبياء الله، ورسل الله، وملائكة الله، وكل الأرواح العالية التي يقربها الله ويحبها الله ويصطفيها الله.

وما رحلة الإسراء والمعراج إلا لذلك: فإن سيدنا موسى على سبيل المثال طلب من الله أن يراه:

([٣]) (طب) عن ابن عمر وسهل بن سعد رضيَ اللَّهُ عنهُمْ معاً (جامع الأحاديث والمراسيل)
([٤])(سمويه)عن أَنَس رضيَ اللَّهُ عنهُ(جامع الأحاديث

﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الآية (١٤٣) الأعراف]

إذاً الرؤيا ممكنة والجبل هنا ليس جبل الطور، وإلا كان كل من وقف فوق جبل الطور يرى حضرة الغفور، ولكن الجبل جبل التجليات، وهو الموضع الذي اختاره الله وجعله في الإنسان محلاً لتجليات الرحمن، ولرؤية النبي العدنان، ولاستقبال فضل الله وكرمه وعطائه في كل وقت وآن، وهو القلب.

وسمي القلب لأنه يتقلب، فطالما يتقلب في الدنيا وفي الأهواء والمشاغل والمشاكل.. كيف يرى؟

المشغول ليس له محصول إلا في علم النقول، فإن استقر على مكانه على حالة واحدة وهي دوام الإقبال على الواحد المتعال وفراغ البال من كل ما سوى الواحد المتعال.. هنا يرى.

فرغ القلب من سوانا ترانا ... يا مريداً جمالنا وبهانا

فإن استقر في مكانه الأصلي يوم كان عليه يوم:

﴿ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ ﴾ [الآية (١٧٢) الأعراف]

يرجع إلى صفاءه ونقاءه ....

فيواجهه الله بجماله ونوره وضياءه وبهاءه، وكما شهد في الأولى يشهد في الآخرة، ولا عجب على فضل الله:

﴿ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ ﴾ ولم يقولوا سمعنا.

إذاً الاستعداد موجـــود وجهاز الاستقبال جاهز لكن الذي منعه التقلب، لكنه لو ثبت مكانه:

﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [الآية(١٧٢) الأعراف]

فلما علم الله عز وجل أن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والـــسلام، لم يستطع أن يتحمل الكلام، قيل له: يا موسى، كيف سمعت كلام الله؟

فقال عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام:

"كنت كأنما أستمع إلى عشرة آلاف لسان، بعشرة آلاف لغة، بعـــشرة آلاف صوت، في وقت واحد، وأسمعه بكل جوارحي"

العين تسمع، والشعر يسمع – يكون كله مسامع...

الأذن تسمع الكلام المحيز الذي ينقله الهواء، ولذلك الهواء لو خلا مـــن هـــذا المكان لا أحد يسمع الآخر – الصدر يخرج شحنة من الهواء، تحرك الصندوق الرنان، واللسان والشفتان واللهاء تنطق بحركة معينة تحولها إلى أصوات، الذي يحملها الهـــواء، ثم تأتي على جهاز الاستقبال الخارجي، الذي يستقبل الهواء، يترجمها ويحولها إلى كلمات في عالم المعاني وعالم المخ. وكل شيء في الوجود يتكلم:

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الآية(٤٤) الإسراء]

ولكن لا يتكلم بلسان، ولا صندوق رنان، فالهواء ليس له دخل به فلا أحـــد يسمعه ولكن من الذي يسمعه:

﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الحاقة]

جهاز الاستقبال الثاني المجهز لهذه المعاني، نحن استخدمنا واحد فقط .. جهاز الاستقبال المجهز للمباني، أما جهاز الاستقبال المجهز للمعاني فكما هو.

فالأجهزة معك وسبق استخدامها، لكن أنت تستخدم الجهاز الحسي فقط وتترك الجهاز المعنوي.

فكان سيدنا موسى يسمع كلام الله بهذه الكيفية، فلما أراد أن يشهد حوَّله الله عز وجل إلى خير البرية، وقال له إن شاء الله ستشهد في ليلة القرب، وإياك أن تشك فيها:

﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ [الآية (٢٣) السجدة]

فأخذ يردد رسول الله ليشهد ما فيه من تجليات على قدره وليس على قدر رسول الله، على قدر ما أليح من جمال الله وضياء الله وبهاء الله، ولذلك قال الرجل الصالح:

وإنما السر في موسى يردده ... ليجتلى حسن مولاه حين يشهد

وكذلك النبيون ....

جمعهم الله ليكملهم في المقام، ليشهدوا في شاشة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، ما سمح الله لهم به على قدرهم وعلى مقامهم من نوره في شاشة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وكذلك الملائكة ......:

يريدون أن يروا على قدرهم ما يلوح لهم من جمال الله عز وجل، فقال لهم في هذا النور الرباني والفرد الصمداني ستظهر هذه المعاني، ولذلك يقول مولانا الإمام أبو العزائم ﷺ في ذلك:

وحكمة إسراء الحبيب إغاثة ... لعالمه الأعلى ورحمة حنان

ولم يك رب العرش فوق سماءه ... تنزه عن كيف وعن برهان

ولكن لإظهار الجمال لأهله ... من العالم الأعلى ونيل أمان

أي ليظهر لهم جمال الله، الذي ظهر في حقيقة حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وهو جمال روحاني، وجمال نوراني، وجمال صمداني، وجمال إلهامي، وجمال في عالم المعاني، لا يستطيع أي إنسان روحاني أن ينعته بالمفردات والكلمات التى نتكلم بها في هذا العالم الداني، وإنما ذق تشهد، من ذاق عرف.

وهكذا فحج العارفين، هو الحج لحضرة الحبيب الأعظم ﷺ وهذا لا يكون كل عام بل على مدى الأعوام، تارة يكون في اليقظة، وتارة يكون في المنام، في البداية يكون مناماً لكن حقيقته لا بد أن تكون يقظة، ولذلك كان الصالحون حتى النساء منهم يربون أولادهم على هذه الشاكلة.

فسيدي إبراهيم المدبول....

وكان من كمل رجال الله الصالحين أخبر أمه أنه يرى النبي ﷺ في المنام، فقالت: يا بني لا تفرح بهذا فإنه لا يتم لك مقام الرجولية حتى تراه في اليقظة، فجد واجتهد ووصل حتى رآه في اليقظة فكاشفها، وقال لها: رأيت كذا وكذا.

فقالت: الآن تمّ لك مقام الرجولية.

انظر إلى هؤلاء النساء وكيف يقومون بتربية أولادهم، فهم نساء على درجة عالية من النقاء والصفاء والجمال والبهاء مع أن الحبيب قال في شأن النساء:

{{ كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ. وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ. وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ}}.(٥)،

وفى رواية :

{{ ولم يكمل من النساء إلا أربع }} (٦)

كمل من الرجال كثير يعني :

ليس كل الرجال كاملين، وهذا يعني أن كل رجل فينا لابد أن يتكمل ليكـون من الرجال الكاملين، وإياك أن تظن أن الرجل بالطول والعرض والسن والمنصب ... لا، الرجولة في طريق الله لها معنى آخر.

من الفتى عند الله؟ قال سيدنا أبو العباس المرسي ﷺ: إنما الفتى من كسر أصنام نفسه المعنوية، لأن إبراهيم سمي فتى لما كسر الأصنام:

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة الأنبياء]

وما أصنامه المعنوية؟ عن النبـيِّ ﷺ قالَ:

---

(5) عَنْ أَبِي مُوسَى صحيح البخارى ومسلم.

(6) ورد فى حديث ابن عباس فيما أخرجه النسائي بإسناد صحيح والحاكم عنه مرفوعاً: «أفضل نساء أهل الجنـة خديجة وفاطمة ومريم وآسية».

{{ تَعِسَ عبدُ الدينارِ وعبدُ الدرهمِ وعبدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ، وإِذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ }} (٧)

أي أن الذي همه كله هذه الأشياء، وحياته كلها تدور على ناحية من هذه النواحي، يكون عبداً لها وأعلاها وأقواها صنم حب الجاه والمنصب والرياسة.

فالذي يستطيع أن يقاوم شهوة المنصب في نفسه، ويجعل نفسه خادماً، يكون رجلاً من الرجال، يقول الإمام أبو العزائم ﷺ: "أنا خادم الأعتاب فافهم مكانتي"

لكن الذي ما زال واقفاً عند الأصنام المعنوية ....

يعني همه كله بداخله فيما ذكرناه، كمن همه كله في المال وحركاته لكسب وتحصيل المال، وكذلك الذي همه كله للجاه، وكل تحركاته في سبيل دوام أو نشر أو زيادة هذا الجاه، والذي همه كله في الشهوات، وحركاته لقضاء إرب نفسه في هذه الشهوات، لا يصل إلى مقام الرجال عند الله لأن الرجل هو الفتى الذي انتهى من هذه الأشياء، ولم يعد له هم إلا مولاه، حتى ولو كان همه هذا في ضميره وفي خبيئة نفسه لم يظهره.

قال سيدي أبو العباس ﷺ: "من كان يحب الظهور فهو عبد للظهور، ومن كان يحب الخفاء فهو عبد للخفاء، ومن كان عبداً لله سواء عليه أظهره أو أخفاه".

---

(7) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه رواه البخاري في الصحيح عن عمرو بن مرزوق وتكملة الحديث (طُوْبَى لعبد آخذ بعنَان فَرَسه في سبيل الله أشعث رَأْسُهُ مغبرة قَدَمَاهُ إنْ كانَ في السَّاقَة كانَ في السَّاقَة وإنْ كانَ في الحَرَاسَة كانَ في الحرَاسَة، إن استَأْذَنَ لم يُؤْذَنْ لهُ وَإنْ شَفعَ لَمْ يُشَفَّعْ، طُوبَى لهُ، ثم طُوْبَى لهُ).

الرجال في القرآن

والرجل في القرآن إما أن يكون من الصنف الذي قال الله فيه:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الآية ٢٣ الأحزاب]

وأخذ شهادة أو مصداقية من دائرة الحبيب الأعظم، معها الفتح الأكرم، مختومة بخاتم النبيين، بأن هذا الرجل ممن لهم قدم صدق عند ربهم، فهذا أصبح رجلاً.

أو أن يكون قلبه لا يتقلب في الشواغل الكونية، بل يجعل جوارحه وجسمه للدار الدنية، وقلبه للحضرة الإلهية، فالجسم للأكوان ومن بالأكوان والقلب لمكون الأكوان، ولا يشغله شأن عن مكون الأكوان، فهو رجل من الذين يقول فيهم الله:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾

[الآية ٣٧ النور]

والصلاة هنا تعني الصلة ﴿ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ يعني ينفق مما آتاه الله على عباد الله، إن كان من العلم أو من الحكمة أو من النور، أو من غيرها من أنواع الأرزاق الإلهية والخيرات الربانية.

فليست الزكاة قاصرة على زكاة الأموال والضروع والزروع، وإنما يضاف إليها الزكاة التى تزكي النفوس... يعني مال يزكى الإنسان الذي أنفقه، لكن العلم والنور والحال يزكي الذي أخذه وحصله من المزكي.

وإما أن يكون من الرجال الذين أعطاهم الله كشفاً عينياً، يعرفون كلاً بسيماهم، عندما ينظر إلى سيميا الإنسان يعرفه الله ما بداخل هذا الإنسان، ليس رغبة

في كشف المستور فإن هذا باب مهجور لا يفتحه أهل النور، فأهل النور لا يكشفون المستور إلا إذا كان بأمر من الغفور، وكانت أشياء خفيفة وضرورية وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَـٰهُمْ ﴾ [الآية (٤٦) الأعراف]

وإما أن يكون من الرجال الذين تخللت محبة الله كل حقائقهم الظاهرة والباطنة، حتى أصبح على قدم الخليل، فأقامه الجليل خليلاً لأهل عصره، ينادي عليهم في أسرارهم وفي أرواحهم وفي بواطنهم، ألا يسكنوا لهذه الأكوان وأن يُقبلوا حجاً روحانياً على مكون الأكوان:

﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ [الآية (٢٧) الحج]

لم يقل يأتينا وإنما يأتوك أنت رجال، وفيهم يقول إمامنا أبو العزائم ﷺ:

يؤذن إبراهيم يسمع من لبى ... فيجذب قول الفرد مصطلماً صباً

فالفرد الذي في مقام إبراهيم، لما يؤذن يأتيه أهل العيان وأهل الأرواح العالية التى ترغب في مواجهة النبي العدنان، يأتوه ليؤهلهم ويجهزهم لهذا المقام العالى وهو ما يقول فيه الإمام أبو العزائم ﷺ:

أحرمت حجاً ذات ربي كعبتي ... والعين مقصودي وياء إمامي

وهو مقام أعلى، والمقام الأخير منها:

﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾

[الآية (١٠٨) التوبة]

فلم يطهروا أنفسهم بل هو الذي طهرهم، من البداية من خصال النفس المذمومة، ومن أوصاف الجسم الحسية الدنيوية التي تتشابه مع الكائنات والمخلوقات الدنية، وجعل الله أوصافهم روحانية، وأنوارهم علية، ونفوسهم زكية، فيقبلون بالكلية على خير البرية ﷺ، هؤلاء القوم حجهم في كل أنفاسهم إلى رسول الله ﷺ يحجون إليه بالروح، وتأتيهم منه الفتوح، ولا يغيبون عنه ﷺ طرفة عين ولا أقل.

نسأل الله عز وجل....

أن يكرمنا بالأنوار العالية والخيرات الباقية والأسرار الراقية والعلوم اللدنية الإلهية الغالية ......

وأن يجملنا في أسرارنا وفي بطوننا وفي أفئدتنا بالنوايا العالية والأسرار الغالية.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الثالث

عوالم الإنسان الخفيَّة

الفصل الأول

بين العقل والنفس والقلب والروح

- آلات تحصيل المعارف
- الإنسان رمز الأكوان
- غيب الإنسان
- حقيقة العقل
- النفس الإنسانية
- عالم القلب
- عالم السر
- كنز الخفا
- سرُّ الروح

الفصل الثانى
من أهل عوالم الإنسان الخفيَّة

- سيِّدي ياقوت العرشي
- علامات الصالحين
- عواقب الاعتراض على الصالحين
- سيِّدي عمر بن الفارض
- التسليم للصالحين
- أهلية الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
بين العقل والقلب والنفس والروح

هذا السؤال سأله إخوتي طلاب العلم من أندونيسيا ، وهو :

ما الفرق بين النفس والقلب والروح؟

الجواب :

بادئ ذي بدء فلن أتحدث في إجابتي عن هذا السؤال عن طريق الفلسفة لأن الفلاسفة يقدحون أزناد عقولهم ويحاولون أن يوجهوا فكرهم إلى الآراء التي يعتقدونها ويريدون أن يظهروها أي أنها تنحصر في دائرة الفكر وهذه الحقائق ليس للفكر عليها سلطان وإنما هي كما قال الله عز وجل لحبيبه عندما سألوه عن إحداها في القرآن:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء]

وقد ألمع الإمام الغزالي ﷺ إلى هذه الحقائق وقال إنها من علوم المكاشفة وعلوم المكاشفة لا تستطيع الألفاظ والعبارات أن تشير إليها وتعبر عنها إنما طريقها وسبيلها القلب والفؤاد.

آلات تحصيل المعارف

وذلك لأن أدوات تحصيل المعارف، جعلها الله عز وجل في قرآنه الكـــريم وفي منهجه القويم ثلاث فقال عز شأنه :

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولاً ﴿٣٦﴾ ﴾

[سورة الإسراء]

فإما أن يستمع الإنسان من العلماء، وإما عن طريق البصر، ينظر في الكتب أو الأثر، أو ينظر في الآفاق، أو ينظر في العبر، وإما يصفو القلب ويجاهد الإنسان حـــتى يبلغ به مقام النقاء والصفاء فيملأه الله عز وجل بالنور والجمال والبهاء، فيكون القلب كمرآه صافية نقية تظهر فيها الغيوب، فيراها صاحب هذا القلب في مرآتـــه لكنـــه لا يستطيع أن يحيزها أو يشير إليها في عباراته.

ولذلك قد ورد أن الشيخ أبو عبدالله القرش- دفين بيت المقدس ﷺ -، وكان من جلة الأقطاب، اجتمع عليه أصحابه ذات ليلة وقالوا:

حدثنا مما علمك الله من العلم المكنون

فقال ﷺ: كم عدد أصحابي الآن؟ ، فقالوا: حوالي ستمائة، قال:

اختاروا منهم مائة من أفضلهم وأتقاهم لله عز وجل، فاختاروا مائة فقال:

اختاروا من المائة خمسة وعشرون أتقاهم لله وأخوفهم من الله، فاختاروا فقال:

اختاروا من الخمسة وعشرين خمساً، فاختاروا خمسة رجال كلهم مـــن أهـــل الكشف والإطلاع.

فقال ﷺ: وعزة ربي لو حدثتكم بما عندي من العلم المكنون، لكان أول من يفتي بكفري هم هؤلاء الخمسة، وذلك لأن علم الغيب يكون لمن خلا قلبه من العيب.
ويقول فيه إمامنا أبو العزائم ﷺ:

علم غيب عن شهود ... لا بعلمي أو بعملي
بل بفضل الله ربي .. وبطه خير رسلي
وأنا عبد ظلوم ... أعلموني بعد جهلي
كشفوا لي الحجب حتى ... أشهدوني نور أصلي

مكاشفات لأهل المواجهات.

وهم من صححوا القصد لله، وصفّوا القلب من الأغيار التي تكدره في سبيل وصوله إلى حضرة الله، فأصبح القلب مرآة نورانية تظهر فيه الحقائق الإلهية:

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الآية(٢١) الذاريات]

وفي قراءة أخرى ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرونه ﴾

إذاً حقيقة هذه المعاني الها معاني غيبية ....

لا يستطيع الإنسان أن يصل إليها بالحجج المنطقية، ولا بالأدلة العقلية، كما فعل الفلاسفة الذين غرقوا في هذا البحر ولم يستطيعوا أن يخرجوا منه ..!!!

فكلها تأملات ..!!... ، أو اجتهادات ..!!..، أو استنتاجات ..!!.. ، في مقام لا ينفع فيه التأويل ! ، ولا الاستنتاج .! .، ولا الاجتهاد ...!!! ، ، وإنما هو مقام يحتاج إلى أن يكشف الله عز وجل الحجب والستائر عن قلب العبد، فيعاين حقائق الغيب التي جعلها الله عز وجل في الإنسان.

(٥) الإنسان رمز الأكوان

فإن الإنسان جعله الله عز وجل رمزاً، أو إن شئت قلت كنزاً للأكوان، فكل ما في الأكوان يوجد في الإنسان، ولكن بصورة مصغرة، وكل ما في الإنسان يوجــد في الأكوان بصورة مفصلة، فالإنسان كون صغير والكون كله إنسان كبير، والإنسان أم كتاب، والكون كله تفصيل هذا الكتاب، ولذلك فإن كل ما في الأكوان جعله الله من حكمته وقدرته في هذا الإنسان وفي ذلك يقول الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه:

أتــزعم أنــك جــــرم صــغير ... وفيــك انطــوى العــالم الأكــبر
دواءك فيـــك ومـــا تـــشعر ... ودانـــك منـــك ولا تبـــصر

وكذلك أشار إلى هذه الحقيقة الإمام أبو العزائم رضي الله عنه فقال:

يا صورة الـرحمن والغيـب العلـي ... يـا سـدرة الأوصـاف والغيـب الجلـي
فيك العوالم كلها طويت فهـــل ... أدركت سـراً فيك من معـنى الـولي

إذاً كل العوالم مطوية داخل الإنسان، فظاهره وهو الجسم من عناصر الأرض، وعناصر الأرض تراب وماء وهواء ونار، فكل ما عليها قد تكون من هـــذه العناصــر الأرضية، والإنسان كذلك، فهو تراب والتراب إذا أضفنا إليه الماء أصبح طين:

﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الآية (٢٠) الروم]

ثم بعد ذلك:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة المؤمنون]

والطين إذا وضع في النار ومعه الهواء كان الفخار:

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة الرحمن]

ففيه عناصر الأرض كلها،

وفيه كذلك كل عوالم الأرض ممثلة في هذا الجسد الترابي:

ففيه ماء عذب في اللسان والفم، وفيه ماء ملح في العين، وفيه ماء مر في الأذن .. بذلك يصبح فيه من كل مياه الدنيا، وفيه الجبال التى تحفظ هذا الهيكل وهي هيكله العظمي... إذاً شبكة الجبال التى أرست الأرض كشبكة العظام التى ترسى الإنسان، وتجعله إنساناً قوياً قوّمه الرحمن عز وجل، وجعل الله تعالى في هذا الإنسان، وهذا هو سر التكريم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الآية(٧٠) الإسراء]

الكل كرمه الله عز وجل، فقد جعل فيه كل شيء من العوالم العلوية برمز خفي، وإن شئت قلت: الإنسان هو الريموت كنترول الذي يحرك بهمته الأكوان، فمفاتح الأكوان جميعها في دائرة الإنسان:

﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الآية(١٢) يس]

كل شيء علواً وسفلاً، وهذا في الإنسان الأكمل وهو سيدنا رسول الله ﷺ ومن بعده القطب الأعظم في كل زمان ومكان.

جعل الله عز وجل في الإنسان رموزاً لكل ما في الأكوان .....

فجعل فيه ملك وملكوت، وإن شئت قلت شهادة وغيب، وإن شئت قلت ظاهر وباطن، فجسم الإنسان هو الملك، ولذلك فهو كعالم الملك الذي خلقه الله عز

وجل في الأكوان، وهي الأرض وما عليها وهو الظاهر الذي تراه العين الحسية، وهـــو الشهادة التي تشهده الجوارح المجترحة الحسية.

خلق الله عز وجل الملك بيد، ولا تقل يداً كهذه ..وإنما هي يد فيها قدرته وفيها عزته وفيها مظاهر أسمائه التي تستطيع حملها هذه الأرض ومن عليها، وقد قال فيها:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الآية (١) الملك]

وخلق الســـــماء وعالم الملكـــــوت أو عالم النـــــور أو عالم البــــاطن أو عالم الغيب ... خلقها أيضاً بيده:

﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الآية (٨٣) يس]

وخلق الإنسان بيده:

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [الآية (٧٥) ص]

أي أن الإنسان فيه عالم الملك، وفيه عالم الملكوت ، فيه عالم الغيب وفيه عـــالم الشهادة ، فيه عالم الظاهر، وفيه عالم الباطن.

فعالم الظاهر فيه هو الملك، وهو ظاهر هذا الجسم الذي تكون مـــن عناصـــر الأرض، فيأكل من عناصر هذه الأرض ويكتسي من عناصر هذه الأرض، وينـــام ولا يرتاح إلا إذا نام على هذه الأرض، وكل طلباته ورغباته من الأرض، ولذلك لأنه فيها أنشأ ومنها خلق:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ [الآية (٥٥) طه]

غيب الإنسان

وفي الإنسان غيب، وباطن هذا الغيب، هو الذي به الإنسان إنسان، هذا الغيب منه النفس ومنه القلب ومنه الروح ومنه السر ومنه الخفى ومنه الأخفى ومنه نفخة القدس العليا، وكل هذه العوالم الغيبية لا تدركها الأبصار الإنسانية حتى بأحدث المعدات والأجهزة التكنولوجية .....

فأين العقل؟

فإن ما في الرأس هو المخ الذي يسير الجهاز العصبي، وهو السنترال الذي يحتوي على كل الخطوات الموصلة إلى الأعصاب، ففيه كما بلغ إليه علمهم عشر بلايين خط، توصل إلى كل أرجاء هذه المملكة، وقشرته هي القشرة المخية، وقد احتارت فيها كل البرية،

وقد قال العلماء المعاصرون ليس المؤمنين منهم ولكن الجاحدين والكافرين في روسيا وأمريكا: " إن كل ما استخدمه العلماء والعباقرة على مدى الزمان من ذكائهم من بدء الدنيا إلى الآن لا يساوي واحد على خمسمائة من القشرة المخية لأي إنسان".

إذاً القشرة المخية سر عجيب وشأن غريب ... لا يُعَلِّمُهُ إلا الحبيب إلى حبيب، يقربه إلى حضرته ... بعد أن يطهر نفسه من كل عيب ويصبح خالصاً لله جل في علاه.



(٥) حقيقة العقل

إذاً أين العقل الذي به دائرة الفكر ودائرة الخيال ودائرة التصور ودائرة الإدراك ودائرة الفهم؟

يقول في ذلك الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه:

"رأيت العقل عقلين فموهوب ومطبوع"

فهناك العقل الموهوب، وهناك العقل المطبوع الموجود في الإنسان.

ولا يعلم مكانه أي الإنسان، وإن تقدم الزمان والعلم والإمكان، هذا بالنسبة للعقل المطبوع أما العقل الموهوب: فإنه خصوصية للمؤمنين لأهم يعقلون به كلام الله، وحديث رسول الله، وحديث الإيمان وتعاليم الإسلام، وما جاء من عند الرحمن عز وجل، أما عقول الكافرين فإن قستها بما بلغت من رقي وتقدم، لا تساوي الممالك الدنية في ملك رب العالمين، فمهما بلغوا في دقة تنظيمهم، وفي توزيع اختصاصاقم، والجودة الكاملة في انتاجهم، والتنظيم الكامل في كل أحوالهم، لن يستطيعوا أن يصلوا إلى التكنولوجيا التى وصلت إليها مملكة النحل وهي تكنولوجيا بالفطرة والإلهام:

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة النحل]

قرآن تفسره الأكوان

من الجبال ثم من الشجر ثم مما يعرشون ..... أي من الخلايا التى يصنعوها الآن، وكما ترون فإن تطور مملكة النحل جعله الله في آية واحدة وقد بيّن إنتاجها فقال:

﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ [الآية(٦٩) النحل]

وذلك على حسب اختلاف المرعى، فهل تستطيع أمة وإن كانت حتى اليابـــان أو الألمان أو غيرهم أن يملكوا الدقة، أو يصلوا إلى المهارة التى وصلت إليها تكنولوجيا أمة النحل؟

أبداً .. وكذلك أمة النمل، فإن تكنولوجيا مملكة النمل غريبة وعجيبة، فبعد أن درسوها ومحصوها وأجروا التجارب عليها، وجدوا أن النمل يربى لنفسه أبقاراً يشرب لبنها ويأكل لحومها، وهي حشرات صغيره على هيئة أبقار يربيها في مزارعه وإذا جاء الشتاء فإنه يخزِّن قوته ويخزِّنه بطريقة لا تصل إليها العلوم العصرية، فيترع النواة مـــن كل حبة حيث يقسمها نصفين ويأخذ النواة حتى لا تنبت إذا وصلها الماء .. من الذي علمه ذلك؟

الله عز وجل وليس الجامعات الغربية المتقدمة، ثم بعد ذلك يجعـــل مخازنـــه في موضع حصين ويضع فوقها سقفاً، قالوا وهذا قولهم في بحوثهم إن السقف الذي يصنعه النمل على مخازنه لا تستطيع حتى القنابل الذرية أن تدركه أو تؤثر فيه، وهذا كلامهم الموجود في الكتب، كيف وصل النمل لصنع ذلك؟

بالإلهام من الله عز وجل ....

فكل ما يعجب الخلق من هؤلاء فإنما لم يرتقوا فيه إلى أي حشرة من حـــشرات الله، نظَّم حياتها الله جل في علاه، لكن الرقي والسمو لا يكون إلا بالعقل الإلهى الذي يقبل كلام الله ويفقه حديث رسول الله ويقبل على شرع الله، ويحفظ الله هذا العقـــل من العماء الذي يقول فيه الله:

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ﴾ [الآية (١٧٩) الأعراف]

فليس لهم في ذلك، إذاً فإن كل ما في الإنسان من العوالم العلوية غيب، وقد جعل الله عز وجل في الإنسان برزخاً بين عالم الغيب وعالم الشهادة وهو العقل:

﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الآية (٢٠) الرحمن]

شق منه يدرك الأكوان وشق يدرك غيب مكون الأكوان وهذا لأهل القرآن وليس لغيرهم من بني الإنسان.

النفس الإنسانية

وجعل الله عز وجل أيضاً في الإنسان نفساً هي المهيمنة على القوى الربانية الجسمانية التى تسير هذا الإنسان في حياته الكونية، فلها السيطرة على القوى الغذائية وعلى القوى الهوائية وعلى جهاز ضخ الدم وعلى كل القوى التى تعمل في داخل الإنسان، ولذلك ترى نفسك تفعل ولا تستطيع أنت أن تتحكم في هذه الأفعال إلا إذا أراد الواحد المتعال، فأنت تأكل لكن هل تستطيع أن تحرك جهازك الهضمي ليهضم الطعام كما تريد في الوقت الذي تريد؟

أبداً وذلك لأن الجهاز الذي يسيطر يتلقى من الحميد المجيد وليس منك، فأنت من تُناوِلْ الطعام وتدخله ولا تستطيع أن تناول إلا إذا يسر لك المفاصـــل، وجعلـــها تستجيب لطلبك ولأمرك فتحمل وتعطى لفمك، وبعد ذلك من الذي يـــشرف علـــى الهضم؟

النفس، ولذلك هى التى تطلب فتشعر الإنسان بـــالجوع وتـــشعر الإنـــسان بالشبع، فأين موضع الجوع وأين موضع الشبع؟ وكيف يظهر عند الإنسان الإحساس بالجوع والشعور بالشبع؟

إنها أمور عجيبة وغريبة لا يدريها الإنسان، لكن الجهاز المسيطر على ذلك كله هو النفس فهى التى تحرك هذا الكيان بأمر الرحمن عز وجل:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس]

فأنت مثلاً تنام ... ولكن أعضاءك الجسمانية لا تنام.. فمن الذي يهضم الطعام وأنت نائم؟

ومن الذي يستقبل الأنفاس ويخرجها وأنت نائم؟ ومن الـــذي يحـــرك القلـــب ونبضاته وأنت نائم؟ وما الذي يجعل الجسم يشعر في أى موضع من مواضعه إذا لمـــس الجلد أى كائن ولو صغير فيتحرك في الحال ويتصرف لإيقاف هذا الكائن؟

هي النفس التى تهيمن على ذلك، فتهيمن على القوى الغذائية وعلـــى القـــوى الحيوانية، وعلى القوى الشهوانية، وعلى القوى الغضبية، وعلـــى القـــوى الـــسبعية، ولذلك انظر لنفسك عندما تأكل .. هل تأكل ما يعجب عينك أو ما يتذوقه لسانك أم تأكل ما يروق في عين نفسك أولاً؟ من الذي يشتهى الطعام؟

إنما النفس، من الذي يتطلع إلى الأنام ويُعجب بهذه ولا يُعجب بهذه .. هل هي العين؟

أبداً فإن العين نافذة تنظر منها النفس، والأذن نافذة تسمع منها النفس، واللسان يعبر عن مكنون ما في النفس ..

قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

فطر النفوس تقودها لعنادها ... والله بالشرع الشريف هداها
لولا الشريعة بينت سبل الهدى ... ضلت نفوس في سحيق هواها
نفس تميل إلى الحظوظ بطبعها ... والقهر والإفساد كل مناها
والجسم آلات لها تسعى به ... وبريدها الحس الذي أرداها

فالجسم كله آلات، ولذلك سيشهد عليها، فهل يجوز للفاعل أن يكون شاهداً؟ فالفاعل هو المجرم وتطبق عليه العدالة لكن الجوارح ستكون شاهدة:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة النور]

﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الآية (٢١) فصلت]

إذاً فهي آلات والذي يحركها هى النفس:

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ [الآية (٥٣) يوسف]

وهى النفس التى لم تمتدِ بنور الله، ولم تسلم لأنبياء الله ورسل الله، ولم تستقم على أي شرع أنزله الله جل في علاه، وهى النفس الأمارة ... إذاً النفس هي مجموع القوى التى تحرك كل ما في الإنسان في هذا الكيان، لكن شكلها وهيئتها وجوهرها وكذلك حقيقتها أين هي؟

هذا أمر لا يعلمه إلا من يقول للشيء كن فيكون، وكل من تحدث في هذا فهو رجم بالغيب أو حديث نفس أو ظنون، وذلك لأنها أمور غيبيه ليس للإنسان الحديث فيها أبداً بالكلية .. تظهر أفعالها لكن لا نستطيع أن نعرف جوهر ذاتها ولا حقيقة كنهها لأنها أمر الله جل في علاه ولذلك عندما تأتى المنية للإنسان، من الذي يتوفى هنا؟

إنما النفس وليست الروح أو القلب:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الآية(٥٧) العنكبوت]

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الآية(٩٣) الأنعام]

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴾

[الآية(٤٢) الزمر]

وإن كانت هذه الآية أكثر علواً لأن الأنفس جمع قلة، وهؤلاء هم الأفراد الذي يتوفاهم الله بذاته، وذلك لأن دعاءهم دائماً هو:

"واقبض أرواحنا بيمناك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن .."

وهؤلاء هم الأنفس ....

أما الآخرون:

﴿ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [الآية (١١) السجدة]

فكل واحد له ملك موكل ليتوفى نفسه وليس عزرائيل، لأن عزرائيل لا يذهب إلا لمخصوصين، أما خاصة المخصوصين فيتوفاهم رب العالمين عز وجل بذاته ... أما الروح فلا تموت ولا تفوت ولا تغرب عند الموت:

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الآية (٥٦) الدخان]

وإلا كيف يشعر الإنسان إن كان مؤمناً بنعيم القبر أو إن كان غير مؤمن بعذاب القبر ... هذا بالنسبة للنفس باختصار شديد.

(٥) عالم القلب

أما القلب فهو الحقيقة الربانية التى جعلها الله في الإنسان من عوالمه العلوية من عالم الملكوت، ولذلك فهو الذي يدرك ما جاء من عالم الملكوت، فيدرك معاني القرآن، ويدرك بيان النبي العدنان، ويدرك الغيوب التى تحدث عنها نبينا ﷺ والتي لا تراها العينان، والذي لا يملك هذا القلب كأهل أوربا وأمريكا يقول فيهم الرحمن:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [الآية (٣٧) ق]

فالقلب الجسماني هو الذي يضخ الدم وليس لنا شأن به، ولا هو موضوعنا، بل إنه يوجد في الإنسان وفي الحيوان، لكن القلب النوراني الرباني الذي يقبل كلام الله لا يوجد إلا عند المؤمنين فقط، أما الكافرون – كما أسلفنا القول – فإن فيهم نفوس وليس فيهم قلب:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [الآية (٣٧) ق]

ولذلك عندما تتحدث معهم يقولون لا نؤمن بشيء إلا إذا رأته الحواس.

فإذا كلمته عن الله يقول: أريد أن أراه، وإذا كلمته عن الجنة يقول: أريد أن أزورها وأعاينها، وكذا لو حدثته عن الملائكة يقول: أريد أن أراهم وأكلمهم ، وإذا كلمته عن الآخرة يقول: أريد أن أراها وأين هي؟

فلا يؤمنون إلا بالحواس.

لأن الله عز وجل غيَّب عنهم ما سوى الحواس، ولم يعطيهم القابل النوراني الذي به يتلقى الإنسان هذه المعاني، وهو القلب السليم:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الآية (٨٩) الشعراء]

سر قوله عز شأنه:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الآية (٤٦) الحج]

والإشارة هنا أن ليس لهم إلا ما في الصدور أما غيرهم فقلوبهم عرشية قال ﷺ في شأن الإمام علي فيما معنى الحديث:

{عَلِيٌّ وَإِنْ كَانَ جِسْمُهُ عَلَى الثَّرَى إِلاَ أَنَ قَلْبَهُ بِالْمَلأِ الأَعْلَى}

(٥) عالم السر

أما السر ......فهو ما في الإنسان من نور النبي العدنان ﷺ .

وأيضاً هذه خصوصية لأهل الإيمان قال فيها ﷺ:

{{ أَنَا مِنَ اللهِ وَالمُؤْمِنُونَ مِنِّي }} (١)

وفي رواية أخري:

{أنا من الله والمؤمنون من نوري}

وهذا السر ...:

هو الحقيقة المعنوية التي يستطيع الإنسان بها أن يدرك التجليات الربانية، ويتذوق معاني الأسماء والصفات الإلهية .

فكل حقيقة تدرك عالمها: فالقلب يدرك عالم الملكوت وعالم الغيوب من حولك كالملائكة والجن وغيرها من العوالم الغيبية.

لكن ليس له شأن بالتجليات والإشراقات لأنها للسر .....

وهى من رسول الله ﷺ وهو وحده الذي يتحمل هذه الإشراقات وهذه التجليات وهذه الإفاضات لأنها من رسول الله ﷺ.

(١) أورده الدّيلمي عن عبد الله بن جراد (الدرر المنتثرة)

كنز الخفا

أما الخفا فهي الحقيقة الغيبية، التى هي من عالم الهوية في المملكة الإنسانية، ليفقه بها الإنسان خطابات الله عز وجل الذاتية، سواء في الآيات القرآنيـة، أو في المناجـاة لرب البرية، أو الهواتف، أو الإطلالات، أو الإلهامات التى يلهم الله بهـا هـذا العبـد بالذات.

فلا بد له هنا من كنز الخفا، من هوية ومن قوة نورانية من عالم الخفا، يستطيع أن يدرك بها هذه الإشراقات الذاتية من الحضرة الإلهية، وهذه خصوصية لبعض الأفراد الذين يصطفيهم رب العباد من بين عباد الرحمن الذين ليس للشيطان عليهم سلطان.



سر الروح

أما الروح فهي سر نفخة الله عز وجل في الإنسان:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ (٢٩) ﴾

[سورة الحجر]

هذه النفخة هى التى تظهر معاني الأسماء والصفات الإلهية في الإنسان.:

- فإذا مست الأذن تجلى عليها اسم الله السميع فيسمع الإنسان.
- وإذا مست العين تجلى عليها اسم الله البصير فيبصر الإنسان .

- وإذا مست اللسان تجلى عليه المتكلم فيتكلم الإنسان.
- وإذا مست الإنسان كله تجلى عليه الحي فيحيى الإنسان ....

هذه النفخة الإلهية هى التى بها المعاني الأسمائية، والأوصاف الربانية، التي يجمل بها الله الإنسان ويجعله خليفة عن الرحمن...

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [الآية (٣٠) البقرة]

وهي سر الأمانة في قول الله:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الآية (٧٢) الأحزاب]

عرض الله هذه الأمانة على السموات، فأخذت اسم الرافع:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا ﴾ [الآية (٧) الرحمن]

وعرضها على الجبال، فأخذت اسم الله القوي المتين ....

وعرضها على الأرض، فأخذت اسم الله الباسط ...

وعرضها على الإنسان، فجمله الله بكمال صفات الرحمن سر قوله ﷺ:

{{ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلى صُورَتِه }} (٢)

---

(2) عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.(صحيح البخارى)

يقول إمامنا ومرشدنا أبو العزائم ﷺ:

" أي سميعاً بصيراً حياً متكلماً لأن فيه ظهرت أوصاف قدرة القادر عز وجل"

فإذا تجلت على الإنسان هذه الأسماء باسم المميت انخسفت الحيـــاة الكونيـــة وانتهت دورة هذا الجسم في الحياة الدنيوية ولكن الروح باقية لأن فيها سر الباقي عز وجل:

﴿ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران]

لا يموتون ..!!..

ولا يأكلـــــون ..!!..

ولا يشـــــــربون ..!!..

ولا ينامـــــــــــــون ..!!..

لأنهم تجملوا بصفات الله عز وجل الأزلية .

نسأل الله عز وجل ...أن يجملنا بجماله وأن يجعلنا من أهل كماله وأن يغرف لنا من حياض فضله وعطائه ونواله وأن يجعلنا من المنظومين في عقد النبي ﷺ وآله.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثانى

من أهل عوالم الإنسان الخفيَّة

سيدي ياقوت العرشي ﵁

سيدي ياقوت العرشي، وبعضنا ينطقه بياقوت العرش، لكنه ياقوت العرشي لأن من سماه هو شيخه الشيخ أبي العباس المرسي ﵁، وكان في الحبشة وفي اللحظة التى ولد فيها قال الشيخ أبو العباس ﵁ اصنعوا لنا عصيدة، وكانت عبارة عن لبن ودقيق وسمن وعسل فقالوا: يا سيدي إن العصيدة لا تصنع إلا في أيام الشتاء ونحن في الصيف، فقال: الآن وُلد ابني ياقوت العرشي ببلاد الحبشة.

ومرت الأيام وكان تجار العبيد يذهبون إلى هذه الديار، ويخطفون الأطفال وهم صغار ويبيعونهم كعبيد، فكان من جملة من خُطفوا ياقوت، والتاجر الذي إشتراه وجلبه كان من أحباب الشيخ أبي العباس المرسي، وعند سيرهم بالسفن في البحر هبت عاصفة هوجاء كادت تُغرق السفينة بمن عليها، فقال التاجر: لو نجَّانا الله عز وجل سأجعل هذا العبد وأشار إلى ياقوت هدية لسيدي أبي العباس ﵁، فسكن الموج في الحال، وسارت السفينة ولكن ياقوت بعد ذلك أصيب بحكة في رأسه، فقال التاجر: لا يليق أن أهدي الشيخ هذا العبد الذي به مرض واختار واحداً جلداً قوياً ليكون هدية، وفي اليوم الذي ستصل فيه السفينة إذا بالشيخ ﵁ بعد صلاة العصر يقول لأصحابه: هيا بنا نتريض على شاطئ البحر وذهبوا إلى الميناء، وبمجرد وصولهم كانت السفينة قد رست وألقت حبالها فنزل التاجر وقبَّل يد شيخه وقال له: يا سيدي ببركتك نجانا الله عز وجل وهذا العبد هدية لك.

قال الشيخ: لا نريد إلا ما قد وهبته للفقراء.

قال: يا سيدي به حكة في رأسه.

فقال له: ليس لك شأن به.

فجاء به فوضع الشيخ عمامته على رأسه، ثم رفعها فذهبت الحكة وسماه ياقوت وتولاه بتربيته، وبعد نضجه سماه ياقوت العرشي، لماذا؟

قال: لأن قلبه دائماً يطوف حول العرش، فليس على الأرض إلا بدنه.

وعندما جاء للشيخ أبي العباس أحد الملوك زائراً، سلم عليه وهو جالس ولم يقم له، وعندما دخل عليه ياقوت قام له، فوجد أن الملك قد تغيرت نفسه لذلك، فقال سيدي أبي العباس ﷺ لياقوت: إن صدرى ضيق وغير منشرح الآن ولا أدرى لذلك سبباً.

فأجهش ياقوت بالبكاء وإذا بالسماء بعد أن كانت صحواً تتلبد بالغيوم، وينزل المطر.

فقال لياقوت: انشرح صدرى الآن وذهب هذا الغم.

فضحك ياقوت فذهب السحاب من السماء، واعتدل الجو مرة أخرى.

فقال الشيخ ﷺ وأرضاه: إن ياقوت هذا من الملوك السماوية، وليس من الملوك الأرضية.

فالقلب الذي فيه معاني الإسلام ومعاني الإيمان ومعاني الإحسان من عالم الملكوت الأعلى، ولذلك قال عز شأنه في شأن أهل هذه القلوب:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الآية(٧٥) الأنعام]

بم رأي وكيف رأي؟ قال ﷺ :

{{ رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي لَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، نَظَرْتُ فَوْقِي فَإِذَا أَنَا بِرَعْدٍ وَبَرْقٍ وَصَوَاعِقَ، فَأَتَيْتُ عَلَى قَوْمٍ بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هٰؤُلاَءِ أَكَلَةُ الرِبَا، فَلَمَّا نَزَلْتُ وَانْتَهَيْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا نَظَرْتُ أَسْفَلَ مِنِي، فَإِذَا أَنَا بِرَهَجٍ وَدُخَانٍ وَأَصْوَاتٍ، فَقُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ: هٰذِهِ الشَّيَاطِينُ يَحُومُونَ عَلَى أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ يَتَفَكَّرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَوْلاَ ذٰلِكَ لَرَأَوْا الْعَجَائِبَ }} [٣]

إذاً القلب هو المعاني النورانية، أو المعاني الملكوتية، أو المعاني الإشراقية، أو المعاني الباطنية، الموجودة في الإنسان الذي آمن بالله وصدق بحبيب الله ومصطفاه، واختاره الله عز وجل من أهل القبلة ومن أهل كتاب الله جل في علاه.

هذا بالنسبة للقلب، وهو مفقود عند الآخرين...

ولذلك لن يؤمنوا ولو جئتهم بكل آية وحتى لو نزلت السماء على الأرض، ولو تفجرت الأرض ذهباً وفضة وذلك لأنهم:

---

(3) (حم) عن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ. (جامع الأحاديث)

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [الآية (١٧٩) الأعراف]

هذه القلوب مغلقة ليس فيها من معاني الملكوت شيئاً ولـــذلك لا يؤمنـــون إلا بالمحسوسات.

علامات الصالحين

سيدي ياقوت العرشي كما قلت عبد حبشي، لكن قلبه عرشي وكمـــا قـــال الصالحين: "ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب"

ولذلك ورث مقام قطب الوقت بعد سيدي أبو العباس المرسي، فكان يقـــول: "لا تعظموا الناس لثيابهم ولكن عظموهم لقلوبهم"

وهذا هو نفس كلام ربنا:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الآية (١٣) الحجرات]

فلم يقل أغناكم ... هذا الرجل كالصالحين أجمعين، وكذلك الأنبياء والمرسلين، فطر الله قلوبهم على الرحمة، فعلامة أي رجل صالح ليس العلم لكن الله قال فيه أولاً:

﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ ثم بعد ذلك: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الآية (٦٥) الكهف]

إذاً المقياس الأول هو الرحمة:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [الآية(١٥٩) آل عمران]

حتى أنه ﷺ كانت الطيور تذهب إليه لتطلب شفاعته، فقد حكي أنه ﷺ كان في مجلسه بالإسكندرية وجاءت يمامة ووقفت على كتفه وهمست في أذنه فقال: سأرسل أحد أصحابي إليه، فهمست في أذنه مرة أخرى فقال: إنها تصر على أن أذهب بنفسي.

فسألوه عن ذلك فقال: إنها تشتكي من خادم مسجد عمرو بن العاص في مصر، حيث أنها كلما وضعت بيضتين وخرج منهم فرخين ذبحهم هذا الخادم، فاستغاثت بي حتى لا يذبح أولادها، وعندما قلت سأرسل له أحد أصحابي كما سمعتم رفضت، فسافر بعد ذلك من الإسكندرية إلى القاهرة وذهب إلى مسجد عمرو بن العاص وسأل عن الخادم، وعندما جاءه الخادم أمره ألا يذبح فراخ اليمامة أبداً.

انظروا مدى الرحمة التي شملت قلب هذا العبد ﷺ وهذه الرحمة قد جعلت شفاعته مقبولة عند الصالحين.

(٥) عواقب الاعتراض على الصالحين

ومن الأخبار الغريبة في هذا الأمر، والصحيحة في نفس الوقت، وذلك لأن أشد شيء يبعد الإنسان عن طريق الله وعن الله هو الإعتراض على الصالحين من عباد الله، وكان سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ يقول: "إذا غضب الله على عبد رزقه الوقيعة في الصالحين".

لأن الله يغضب لأحبابه فيعلن عليه الحرب: قالَ النَّبيُّ ﷺ:

{{ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ }}(٤)

وعقاب المعترضين ليس كما يظن بعض الناس، فعند اعتراض أحدهم على الصالحين يقولون انتظروا لما يحدث له، فيعتقدون أنه تأتيه إصابة في بدنه، أو إصابة في ولده، أو ماله، ومثل ذلك يعتبر تذكير له لكي يرجع، وهذا إذا كان الله يحبه لكن الإصابات الشديدة يقول فيها الله:

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الآية(٧٧) التوبة]

إذاً الاعتراض يجعل الإنسان يصاب والعياذ بالله بداء النفاق، فيختم على غير خير، والعياذ بالله عز وجل وهذا داء لا يشعر به حتى المريض .

وحتى لا نكثر من التفصيل ..

فإن السلطان حسن المملوكي عندما بنى مسجده الذي يعد من أروع المساجد في العالم، سأل عمن يعمره؟ فقالوا: لن يعمره إلا الشيخ شمس الدين اللبان قاضى قضاة دمشق، وكانت مصر والشام دولة واحدة تابعة له.

فأرسل إلى الشيخ شمس الدين،...

وعندما حضر أمر قاضي القضاة والعلماء أن يستقبلوه فاستقبلوه، وبعد العشاء خرج للسياحة هو وقاضي قضاة مصر فوجد أحد الدراويش يذكر على نهج الأحمدية، – وهم أتباع سيدي أحمد البدوي – وكما تعلمون .... فإن لكل مدرسة منهج ولا خلاف بينهم.

---

(4) (خ) عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ.(صحيح البخاري)

وبعد أن فرغ هذا الدرويش من ورده قال: الصلاة والسلام عليك يا سيدي أحمد البدوي، فقامت قيامة شمس الدين وقال: من هذا الذي يشرك أحد البشر مع رسول الله، ومن هذا البدوي؟

واعترض وأصدر قراراً بأن يعذَّر هذا الدرويش - ويعذَّر يعني يذهب إلى المحكمة لتحكم عليه بأى حكم يراه القاضي، وليس بالقانون - وحاول قاضي قضاة مصر أن يثنيه عن ذلك، ولكنه أصر على رأيه..!!!

فنام في تلك الليلة فرأى رجلين، رجل عند رأسه والآخر عند قدميه، فقال مَن عند قدميه: أسلبه الإيمان لأنه وقع في أولياء الله.

فقال الذي عند رأسه يكفى أن نسلبه العلم والقرآن، وعندما قام من نومه وجد أنه لا يتذكر ولو كلمة واحدة من القرآن، ولا من العلم، فجاء إمام المسجد له عند الفجر ليصلي فتعلل بأنه مريض ولا يستطيع أن يؤم المصلين، وعندما جاءه في الصباح قاضي القضاة ليطمئن عليه أخذه وخرج ثم حكى له ما جرى، وأنه سلب العلم والقرآن.

فأشار عليه بأن يذهبا إلى الزاوية الأحمدية، وعندما طلبا شيخ الزاوية وقصُّوا عليه ما دار وطلبا منه العفو والصفح فقال: خرج هذا الأمر من يدي، لكن إذا أردت حلّ هذا الأمر فليس له إلا ياقوت العرشي في الإسكندرية، فهو الذي يملك وحده هذه الشفاعة لدى البدوي، فسافرا إلى الإسكندرية وقابل سيدي ياقوت وحكى له، فقال له: ما الذي أوقعك في هذه الورطة؟

فاعتذر، فقال له سيدي ياقوت: إدخل خلوتى واذكر بـ لا إله إلا الله، ولا تخرج منها حتى يفتح الله عليك.

فمكث ليلة كاملة يذكر بـ لا إله إلا الله، ثم ألقى عليه النوم فرأى سيدنا رسول الله ﷺ جالساً على كرسي من نور، وحوله الأنبياء والمرسلين جالسين، وواقفاً أمامه الأولياء والصالحين، فقال ﷺ: يا أحمد اعفو عن شمس الدين لأجلي؟

ثم قال له سيدنا رسول الله ﷺ: لم وقعت في هذه الورطة أما علمت أن من الأولياء من هو تحت جناحي الأيمن، ومنهم من هو تحت جناحي الأيسر، وأن أحمد من الأولياء الذين هم تحت جناحي الأيمن .. افتح فاك؟

ثم تفل فيه رسول الله ﷺ، فقام شمس الدين من نومه منشرحاً، فوجد سيدي ياقوت العرشي واقفاً على باب الخلوة كالأسد يذهب ويجيء، وعندما رآه قال: أبشر يا شمس الدين لقد سقت على سيدي أحمد كل الأولياء والصالحين، ولكنه لم يقبل بشفاعتهم أجمعين، فسقت عليه رسول الله ﷺ حتى قبل شفاعتى فيك.

فاذهب إلى طنطا وزر سيدي أحمد ولا تخرج من ضريحه إلا بعد تمام العفو عنكو واقرأ القرآن وهبه له، فجاء شمس الدين إلى طنطا ومكث في الضريح ثلاثة أيام يقرأ القرآن ويهبه لرسول الله ولسيدي أحمد البدوي، وفي اليوم الثالث رأى سيدي أحمد البدوي في نومه وقال: يا شمس الدين لا تعود لمثلها أبداً؟

قال: لا أعود لمثلها أبداً .

فمسح بيده على صدره وقال: سنرد لك القرآن وعلمك ونزيدك، فقام الرجل من نومه وقد تذكّر القرآن كله، وعلومه كلها والزيادة.

ثم ذهب إلى مصر وحكى للسلطان حسن ما رأى، فلما سمع السلطان ذلك تعجب وأصر أن يزور سيدي أحمد البدوي، وسيدي ياقوت العرشي، فأشار عليه شمس الدين أن يذهب خفية فجاء السلطان إلى سيدي أحمد البدوي وزاره ثم ذهب إلى

سيدي ياقوت العرشي فلما رآه عبداً حبشياً بعد ما سمعه عنه، قال في نفسه: أعبد يبلغ هذا المقام.

فقال سيدي ياقوت العرشي: يا حسن، "إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه"

ثم أمسك بعصا صغيرة في يده وضربه على رأسه سبع ضربات، وقال: إرجع إلى قصرك فرجع إلى قصره وعاش سبعة شهور ثم مات بعدها، فكانت كل ضربة بشهر.

هذا الرجل ﷺ وأرضاه زوَّجه شيخه أبو العباس من ابنته، ومكث معها ثمانية عشر عاماً، كانت إذا تحدثت معه وهو مع رؤساء القوم والأكابر، يترك حديثهم ويتحدث معها ويقول: إعذروني فإنها ابنة شيخي.

وجاء له يوماً بعض الأشراف، وكان يلبس كعادة الشاذلية بعد الوصول الملابس الفاخرة شكراً لله على نعمه الباطنة والظاهرة، فقد رأى يوما أحد المجاذيب الذين يلبسون الخيش سيدي أبا الحسن الشاذلي وهو يلبس الملابس الفاخرة، فسأله عن ملابسه الفاخرة فقال سيدي أبو الحسن الشاذلي: يا أخي ملابسي هذه تقول الحمد لله، وملابسك هذه تقول أعطني شيئاً لله، فأيهما أولى؟

فعلى المؤمن أن يلبس لباس العزة، فكان الشريف الذي ذهب إليه يلبس ملابساً بالية ورأى سيدي ياقوت وهو في هذه الملابس الراقية فلم يتمالك الرجل نفسه، وخاطبه بخطاب غليظ، وقال له:

أنت يا مشقوق الشفاتر تلبس هذه الثياب، وأنا كما تراني؟

فقال سيدي ياقوت:

لعلني تابعت أجدادك فرضوا عني فأدخلوني معهم، ولعلك تابعت أجدادي فأدخلوك معهم.

فانظر إلى هذا الأدب المحمدي، وذلك لأنه تربى على يد سيدي أبي العباس المرسي ﷺ وعندما دخل لزيارته سيدي أبي العزائم ﷺ قال فيه من عيون قصائده:

تواضعت رب العرش أعليت بالفعل ... جعلت ترب الأرض للعالم القطب

وكما يقولون: قطرة من بحر جوده تجعل الكافر ولياً والشقي تقياً ... فإذا نظر الله بعين جوده، فوراً يجعل المرء من أهل وده، ولا ينال المرء ذلك إلا إذا سعد بوصال أهل وده، لأنه لا يكفي للوصول لذلك الجهاد وإنما هي نظرات أهل القرب والوداد.

ليس الرقي إلى العليا بأعمال ... ولا الوصول بأسرار وأحوال
ولا بعلم به تقوي ولا أمل ... ولا جهاد بأبدان وأموال
لكنه منة من فضل واهبه ... به تعد جميلاً بين أبدال
إذا عرفت مقام الله خفت ......وفي خوف المقام تنال القرب بوصال
هذا الوصال وهذا القرب أجمعه........سعادة أبداً فضلاً بغير زوال

سيدي عمر بن الفارض

وأذكر في هذا المجال وعلى سبيل المثال، الشيخ عمر بن الفارض ﷺ وأرضاه، وكان والده قاضي قضاة مصر، وقد حكي عن نفسه وقال: حُبب إليّ الخلوة، وكان يستأذن والده ويذهب إلى صحراء المقطم ويعبد الله عز وجل طالباً الفتح من الله،

وكان يمكث فترات طويلة، ثم يتذكر بره بأبيه فيعود إليه ثانية، ويمكث معه فترة، ثم يستأذنه مرة أخرى ويذهب، وظل على هذا الحال فترة ينتظر الفتح ولكن لم يأتي الفتح.

ثم ذهب ذات مرة إلى مدرسة من المدارس، وكان اسمها المدرسة السيوفية، فوجد رجلاً بقال طاعناً في السن يتوضأ، وكان هذا الرجل يريد أن يلفت نظره كنظام الصالحين فغسل يديه، ثم غسل رجليه، ثم مسح رأسه، ثم غسل وجهه، (وهذه رواية صحيحة حكاها ابن الفارض بنفسه).

فقال له ابن الفارض: أرجل في هذا السن شابَ في الإسلام لا يعرف الوضوء؟

فقال له الرجل: يا عمر لن يأتيك الفتح إلا في مكة ببلاد الحجاز، فاستكان له عمر وقال: كيف أذهب إلى مكة الآن؟ حيث لا يمكن السفر إليها إلا في أيام الحج في وسط القوافل؟

فقال الرجل لعمر: هذه هي مكة، وأشار بيده فوجد عمر الكعبة أمامه فدفعه الرجل بيده، فسار حتى وصل الكعبة.

وما أريد أن أقوله هنا، أن الفتح لا يأتى بالعمل ولكن ببركة المشايخ، فقد عمل ابن الفارض قبل ذلك ولكن لم يأتيه الفتح.

وظل ابن الفارض في صحراء حول مكة خمسة عشر عاماً، ولكن الفتح قد جاءه كما قال في روايته: "منذ وصلتها أى مكة جاءنى الفتح" (وبدء يزيد) ويقول أيضاً: كان بيني وبين الحرم ما يزيد على الخمسة عشر ميل ومع ذلك كنت أصلى الفرائض الخمسة في بيت الله الحرام، ويقول: كان يأتيني سبع ويقف بجواري ويقول: يا سيدي اركب فأرفض الركوب فيمشي، وفي يوم تجمع حولي أهل الحرم وقالوا: لا بد

لك من دابة تستخدمها في هذا السفر، يقول: فلما استتموا حديثهم إلا والسبع قد جاء إلى جدار البيت وقال: اركب يا سيدي، فلما رأوه انفضوا من حولي.

وبعد الخمسة عشرة عاماً يقول: وإذا بالرجل يقول لي: يا عمر إحضر لأني سأموت اليوم لتصلي عليَّ ومد يده إليه وأحضره، يقول: عندما وصلت إلى موضعه وهو يحتضر أعطاني دنانير وقال: تشترى بهذا كفناً وتستأجر حملة يحملون نعشي وتعطي كل واحد منهم ديناراً، وتذهب إلى مكان كذا وأشار إليه، ثم تنتظر ما يفعل الله عز وجل بي.

وقال: عندما أشار رأيت هذا الموضع، ولم يذهب من مخيلتي ثم مات، وغسَّلناه وحملناه على نعشه وذهبنا إلى هذا الموضع ووضعته، وإذا بي أرى رجلاً نازلاً من فوق الجبل كأنه طير لا يمشي على الأرض، فقال: يا عمر صلي بنا ونصلي خلفك على هذا الرجل، قال: فتقدمت إماماً وصلى الرجل خلفي ورأيت من الأرض إلى السماء طيوراً وملائكة يصلون خلفي، وبعد أن انتهت الصلاة فإذا بطائر ضخم أخضر يترل ويبتلع الرجل في جوفه ويطير ولا أدرى أين ذهب؟

فقال الرجل الذي نزل من فوق الجبل: لا تعجب يا عمر أما قال ﷺ:

{ إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ }[٥]

قال: قلت بلى ، قال: فإذا كانت أرواح الشهداء شهداء القتال في أجواف طيور خضر، فإن شهداء العشق الإلهي كلهم في أجواف طيور خضر في الجنة، وليست الأرواح وحسب، يا عمر كنت أتمنى وأطلب هذه المترلة لولا أن الله اختبرني في يوم فلم أصبر على هذا الإختبار.

(5) (ت) عن كعب بن مالك رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث)

فقال عمر: فعرفت أن هذا الرجل البقال ولي من أولياء الله، لكنه كان يكتم حاله حتى لا يظهر أمام الجهال.

بذلك أردت أن أعرفكم أن الأولياء والصالحين موجودين، ولكن الناس انشغلوا بالمادة، وكما قال سيدي أبي العباس المرسي ﷺ وأرضاه: "الناس لا يقبلون إلا على الولي الذي جاء من جبل" ، لكن إذا كان الولي في وسطهم ويلبس البدلة، وفي وظيفة يذهب ويجيء منها وإليها، يقولون عليه، كيف يكون ولي؟ !! ، فإنه لم يقعد في خلوة ولا يلبس المرقعات .. وهكذا، ولكن لماذا لا تكون الخلوة في خلو القلب؟

وكان أصحاب رسول الله على هذه الشاكلة فقد كانوا جميعاً أولياء، فمن منهم الذي قعد في مغارة في جبل؟ ... فالرجل الذي فكر في أن يجلس بجوار عين الماء قال له: لا، ومن منهم الذي سكن المقابر؟

لا أحد.

(٥) التسليم للصالحين

إذاً الأولياء موجودون ..

لكن كما قلنا فإن الناس مشغولون في هذا الزمن بالمادة، هذا أولاً .

أما ثانياً فإن كل واحد يريد أن يمشي على هواه، ويريد منا أن نطبق منهج المدارس العصرية التي تفكر فيها وزارتنا ....، كيف؟

تريد من الطالب أن يضع المنهج لنفسه، وليس الأستاذ أو المدرسة، وكذلك يحضر في الوقت الذي يختاره لنفسه، ويحضر في الوقت الذي يريده، ولا يحضر في الوقت الذي لا يريده ... أي أنه يمشي على حسب هواه، وهذه هي المعاناة التى نعانيها، فالمريد يريد أن يأتى إليك في الوقت الذي يعجبه، ويعمل الذي يريده فكيف يصل إلى الله إذاً ؟ .. فهل هناك من سيتعلم أي صنعة في أى مكان إلا إذا سمع كلام معلم هذه الصنعة؟

لا، إذاً كيف تريد أن تعرف الله وتصل إلى معرفة الله وأنت مصر أن تمشي على حسب هواك ،وفي الوقت الذي يناسبك وتعمل ما يلائمك وتعتذر والإعتذار سهل؟

فإذا حاولوا أن يكلموك، تعتذر ومنهج الصالحين ليس كذلك ومن يريد أن يمشي مع الصالحين لكي يكون منهم عليه أن يسلّم، لمن يسلّم؟ .... يسلم لكتاب الله ولسنة رسول الله، وإذا أتى إليه الصالحين بشيء غير الموجود في كتاب الله وسنة رسول الله يرمى بها عرض الحائط، ولن يحدث مثل ذلك فالإمام أبو العزائم يقول:

من خالف الشرع الشريف فليس من ... آل العزائم فافهمن برهاني

فإذا أردت أن تشفى فعليك أن تنفذ الروشتة التى وصفها الطبيب بالحرف، أما إذا ذهبت لكبير الأطباء وكتب لك الروشتة ومع ذلك تصر على أن تمشي على هواك ولا تنفذ تعليماته، هل بذلك تشفى؟

كلا بل إنه عندما يجدك كذلك يهملك، فلا تستفيد من صحبتك لهم وتكون غير مسجل في الفصل، وليس لك درجة أو تقدير أو عناية، وذلك لأنك تمشي على هواك، ولذلك فإن أول شيء تحاسب نفسك عليه إذا أردت الفلاح والنجاح والوصول اجعل هواك على هوى رسول الله ، قال رسول الله ﷺ :

{{ لا يُؤْمنُ أحدُكم حتى يَكونَ هواهُ تبَعاً لِما جئتُ به}} [٦]

لكنك تريد أن تمشي على هواك وفي نفس الوقت يأتيك الفتح ... كيف يأتي هذا الفتح؟ ... إن الصالحين لم يأتيهم إلا بعد الجهاد وسير الصالحين موجودة لمن أراد أن يطالعها ... فهل يأتي الفتح في الرقاد؟ ... كلا، فابن الفارض كما بيَّنا فتح له الشيخ الطريق ولكنه مكث خمسة عشر عاماً في الصحراء هائماً في ذكر الله إلى أن أتته الفتوحات ... ما هذه الفتوحات؟ ، ... يقول فيها الشيخ الغزالى:

فكان ماكان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ولا يستطيع أي أحد أن يحكى هذه الفتوحات لأنها خاصة بك أنت، ولكن قد يحكى لك شيء على قدرك، ولا يستطيع أن يحكي ما رآه لأنه غير مباح به، ولو أباح به ففي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

علمنا فوق العقول مكانة ... كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح
خصنا بالفضل فيه ربنا ... ذاك سر غامض كيف يباح
والفتى المجذوب بالحب له آية ... إن ذاق خمر الحب صاح
وهو محمول العناية إن يبح ... بالحقائق ما على الفانى جناح

فمن الممكن أن يذيع المجذوب في لحظتها وذلك لأنه لا يدري،لكن من كان في كمال قواه الظاهرة والباطنة فلا يبيح إلا ما يتحمله الإنسان وقد قالوا: "ذق تعرف".

---

(٦) عن عبد الله بن عمرو (مشكاة المصابيح).

أهلية الفتح

إذاً أحوال الصالحين موجودة...

ولكن كل الموضوع أن المريد إذا ضحكت عليه نفسه يريد أن ينسب القصور والتقصير إلى شيخه، ويقول أنا معه مثلاً منذ خمسة وعشرين عاماً، ومع ذلك لم آخذ أى شيء، فلا شأن لنا بالسنين .. "فَسَنَةُ الوصل سِنَه وسِنة الفصل سَنَةَ"، فلو أراد الله وصلك يتم ذلك في سِنَه أى طرفة عين لكن البداية:

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾

[الآية(٧٠) الأنفال]

وقد أدخل الشيخ أحمد الزاهد هنا في مصر ﷺ وأرضاه ابنه الخلوة، وأعطاه الأوراد، وخرج بعد فترة ولم يفتح عليه، ثم أعطاه أوراداً أخرى دخل بها الخلوة ولم يفتح عليه أيضاً، فقال له: يا بني لو كان الفتح بيدي لكنت أول مريد عندي في الطريق، لكن الفتح بيد الله يؤتيه من يشاء، وذلك لأن ابنه يفتقد الاستعداد.

فإن الفتح يلزمه قابل نوراني وفيض مقدس، فإذا وجد القابل النوراني والفيض المقدس حدث الفتح، أما إذا وجد الفيض المقدس بدون القابل النوراني، أو إن وجد القابل النوراني بدون الفيض المقدس، فلا فتح في الحالتين، إذ لا بد من وجود الإثنين مع بعضهما البعض.

فما على صاحب القابل النوراني هو أن يجهز نفسه، ثم بعد ذلك يأتي الفتح من الله لكنه يريد منهم أن يجهزوه ثم يفتحوا عليه ويمتعوه ... كيف يكون ذلك؟

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة فصلت]

حيث يقول كل واحد، لماذا لا أكون أنا، فما عليك إلا أن تجهِّز نفسك وبالمثال يتضح المقال، من يريد الآن أن يدخل نور الكهرباء إلى منزله،هل عليه أن يذهب لهيئة الكهرباء ويقدم طلب بتجهيزات الوصلات، الداخلية والخارجيــة، ثم يوصــلون لــه الكهرباء؟ وهل يصح ذلك؟

كلا، ماذا يفعل إذاً ؟

عليه أولاً أن يجهز الوصلات الداخلية بمنزله، ثم يجهز لوحة المفاتيح بعد ذلــك، ثم يقدم الطلب ومعه الرسوم، وكل ما عليهم بعد ذلك أن يعملوا الوصلة الخارجيــة. لكن الداخلية على الشخص نفسه.

كذلك المريد عليه كل التجهيزات الداخلية، ولن تستطيع أن تعملها بنفــسك، لكن لو نويت فإن الله يعين، لكن المهم أن تبدأ بأن تجعل النفس تحت سلطان الـــشرع، وتجعل القلب خالياً مما سوى الله ورسوله خالصاً، وقدمت طلب بداخلك تريــد بــه الوصول أو تريد به نور الرسول، فوراً سيرسلون لك مهندس موصول يوصلك بنـــور حضرة الرسول ﷺ ، إذاً لا بد على المريد أن يجهز نفسه أولاً.

وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الرابع

وَرَثةُ الكتاب

- القرآن شراب المقربين
- أســــرار الرجال
- عـــلوم الوراثة
- كنوز المعاني
- إكســــير الحياة
- مراتب السير والسلوك
- العبـــــد الرَّبَّـــاني

القرآن شراب المقربين

إخواني وأحبابي بارك الله عز وجل فيكم أجمعين....

في القرآن مشاهد لا يظهرها الله إلا للواحد بعد الواحد، منهم من تتفجر في سويداء قلبه عيون الفهم لهذا الكلام، ومنهم من يلهمه الله في صدره حكماً لا عد لها ولا حصر لها من ثنايا هذا الكلام، ومنهم من يكشف الله لهم عن أسراره، ومنهم من يشهدهم الله خاصة أنواره، ومنهم من يوقفه الله عز وجل على بحاره وأنهاره، فالقرآن الكريم هو العين التى يشرب بها ومنها المقربون.

قال تعالى فى محكم التنزيل :

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الطور]

فلم يقل إن المتقين سيذهبون إلى جنات ونعيم، أو إن المتقين أعد الله لهم جنات ونعيم، لكنهم الآن وهم في الدنيا في جنات ونعيم، فما الجنات وما النعيم؟

في عرفنا أن الجنات هي النعيم، أما مقصود الآية فإن الجنات هي النعيم الحسي، والنعيم هو النعيم المعنوي والروحاني والنوراني، ولا يجده كل ولي إلا إذا صار صفي، فيجده في مشاهد القرب من حبيب الله ومصطفاه، أو فيما يتوالى عليه من المشاهد العلية من حضرة مولاه جل في علاه، وهو لن يتنعم بالطعام والشراب وحسب؛ ولكنه نعيم كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

"نعيم أهل الصفا في فهم قرآن" أي بدايتهم أن يتنعموا في فهم القرآن بالمعاني التى تتنزل في بواطنهم من كلام الرحمن عز وجل، وهذه المعاني حدث عنها ولا حرج، إذا قلّت فلحكمة يريدها الله، فإما حرصاً على الوقت، وإما لضيق مواعين السامعين

لكن أفئدة المتقين كما يعبر عنها الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه حيث يقول: "إن ههنا وأشار إلى صدره ... إن ههنا لعلوماً جمة لو أجد لها حملة"

وقال فيها ابن ابنه سيدنا علي زين العابدين ﷺ:

يا رُب جوهر علم لو أبوح به .. لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسناً

والعجيب أن الله عز وجل يجعل ألسنة الرجال تنطق بالمعاني الراقية والأسرار العالية في كلمات لا يستطيع أحد أن يمسك عليهم فيها شيء يخالف شرع الله ولا سنة حبيبه ومصطفاه، فيكيفونها ويجهزوها بفضل الله وبإكرام رسول الله ﷺ فيتنعمون بالقرآن.

أسرار الرجال

ولذلك يا أحباب تجد أن عبادة الصالحين الذاتية ..... التى يتقربون بها للحضرة العلية هى ....: القرآن، وأئمة أهل الصفا من أصحاب الحبيب المصطفى، ماذا كانت عبادتهم؟

القرآن ......، لأنه ﷺ قال:

{{ أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ }}[1]

[1] (هب) عن النعمان بن بشير رضيَ اللَّهُ عنهُ.(جامع الأحاديث).

وقد تتذكرون سيدنا الإمام أحمد بن حنبل ﷺ عندما رأى الله عز وجل ـ مع تتريه الله عز وجل عن الإدراك- تسعة وتسعين مرة ، وقال لو رأيته في المرة المائة لأسألنه عن أحب ما يتقرب به المتقربون إليه، فرآه فى المرة المائة فقال:

ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك يا رب؟

قال: بكلامي يا أحمد .

قال: أبفهم ؟ أم بغير فهم ؟

قال: بفهم ، وبغير فهم يا أحمد .

وبالطبع فهم العوام من هذا الكلام أنه إذا فهم أو لم يفهم فبها ونعمت.

لكن سيدي عبدالوهاب الشعراني ﷺ سأل شيخه سيدي علي الخواص - الأمي الذي علمه الله، ووصل به الكشف والإطلاع الإلهي إلى أنه عندما كان يمسك بدواة فيها حبر يقول مكاشفة هذه الدواة سيكتب بها كذا وكذا إلى آخر حرف يكتب منها، وكانوا يجعلون في المساجد مغطساً يغطسون فيه ليتطهروا من الجنابة، فكان إذا نظر إلى المغطس يقول هذه جنابة فلان وهذه جنابة فلان -، فالأمر كما قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

علم غيب عن شهود لا بعلمي أو بعملي .. بل بفضل الله ربي وبطه خير رسل

وأنا عبد ظلوم أعلموني بعد جهلي .. كشفوا لي الحجب حتى أشهدوني نور أصلي

فلا يوجد منا من معه شيء ....

فمثلاً .... الميكرفون الذى يتحدث فيه المتحدثون ..!! هل به كلام؟ ؟!!

بالطبع لا ...

كذلك كلنا ....

فأنا ميكرفون وليس معي إلا فضل الله وإمداد الله ومعونة الله جلا في علاه، فإذا أمدُّوا فقد وافى فضل الله أما إذا انقطع الإرسال فمن أين يأتى؟

فنحن واقفون على الإرسال، ويأتي الإرسال من يقظة البال وفضل الواحد المتعال عز وجل.

فسأل سيدي عبدالوهاب الشعراني وكان شيخ الإسلام في زمانه سيدي علي الخواص وكان متتلمذاً على يد هذا الرجل الأمي في طريق الله [2] ... فسأله:

إن سيدي أحمد بن حنبل يقول إنه لما رأى الله، وقال: ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك يا رب؟ فقال: بكلامي يا أحمد، قال: أبفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم أو بغير فهم.

قال: إن معنى بغير فهم هنا معناها أنه سيتجرد من الحول والطول والعلم ويرفع الأمر إلى الأول فيعلمه الأول عز وجل.

---

(2) وذلك لأنه كانت سنة العلماء العاملين، فبعد أن يحصِّل علم الشريعة ويبزُّ فيه ويصبح إماماً يبحث عن علم الحقيقة ليكون متشرعاً ومتحققاً، وممن يأخذه؟ هل من الكتب؟ لا يؤخذ هذا العلم إلا من صدور الرجال، حتى كتب القوم التي يكتبها الصالحين فعلى قدر ما تسمح به الإباحة للقارئين والناظرين، لكن الأسرار الغالية في قلوبهم ويقول فيها الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه: "يحفظونه في صدورهم حتى يودعونه في قلوب أشباههم وأمثالهم" من اللسان إلى القلب والجنان.

علوم الوراثة

فهناك من يقرأ ومعه ما حصل من علوم الدراسة يتفهم بها،و وهناك من يقــرأ فيرفع من قلبه ومن فكره كل ما حصَّله من علوم الدراسة لكي ينال علوم الوراثة.

فسيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندما بدأ رحلة البحث عن القطب في زمانــه، وكان في تونس فقالوا له: إن القطب في مصر، فجاء إلى مصر، فقالوا: إنه في العراق، فذهب إلى العراق، وتقابل مع سيدي أبي الفتح الواسطي، فقال له: جئت تبحث عــن القطب هنا والقطب عندك في تونس، فرجع ثانية إلى تونس.

وكان يذهب الواحد منهم ماشياً على قدميه من أجل عين الحيــاة الــتى مــع القطب والتى بها يحىِّ القلب بالله، وإذا إحيَ القلب لم يذق الموت بعد ذلك أبــداً، إن كان موت الغفلة أو موت القطيعة أو موت البعد عن حضرة الله، ويظل في يقظة دائمة أبد الآبدين إن شاء الله.

فذهب إلى القطب وكان في أعلى الجبل، فقال له عندما رآه أتيت يــا وارث الزمان، أنت على بن عبد الجبار ابن كذا، ابن كذا وذكر نسبه المتصل إلى رســول الله ﷺ، يا علي إنزل واغتسل من عين الماء في أسفل الجبل، ثم إئتني، فــنزل واغتســل ثم صعد، فقال: يا علي إنزل واغتسل ثم إئتني، فاغتسل من العين ثم صعد مرة ثانية، فقال يا علي إنزل واغتسل ثم إئتني.

قال ففهمت أنه يريد أن أغتسل من العلم الذي معي وذلك لكي يفرغ عليَّ من العلم المكنون ومن الشراب المضنون، قال: فأخرجت كل ما معي من العلوم وتــبرأت منها وصعدت إليه فقال: يا علي جئتنا فقيراً وسنغنيك بغنى الدنيا والآخرة.

إذاً يا إخواني من يذهب إلى الصالحين يجب أن يذهب فقيراً لكي يغنوه، محتاج لكي يعطوه، جاهل في حقائق السير والسلوك إلى ملك الملوك حتى ولو كان معه علوم الدنيا بأجمعها، وذلك لكي يعلموه لكن من يذهب ويعتقد أن معه كلمتين أو كتابين أو دراسة أو دراستين فماذا يريد بعد ذلك؟

ومثل هذا لن يعطوه شيء، وهذا هو مبدأ القوم ﷺ وأرضاهم أجمعين، وقد ذكر الصالحين في هذا المجال بعض الأمثلة منها إذا كان معك ورقة عليها كلام مكتوب فهل يستطيع أحد أن يكتب لك عليها مرة أخرى؟

فلو أن إبنا لنا في الكتَّاب مثلا ، ومعه لوح كتب له عليه الشيخ .... وأراد أن يكتب له عليه مرة أخرى فماذا يفعل؟

لا بد أن يمحو ما كتبه أولاً ، ولا بد من ذلك:

﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد]

ولذلك فإن كثير من الأحباب يشكو من أنه في صحبة الصالحين منذ سنين، ورغم ذلك لم يحصِّل شيئاً، فنقول لمثل هذا:

أنك وأنت ذاهب إليهم تأخذ معك الكوب مملوءاً !، فماذا يضعون لك فيه؟!

فالموزع هل يفرغ في الكوب المملوء ؟ أم في الكوب الفارغ؟

بالطبع في الكوب الفارغ .... فكل ما عليك في هذه الحالة :

أن تفرِّغ فؤادك ، وتفرغ نفسك ، وتفرغ فكرك ولبك ، وتفرغ كلك لله جل في علاه، وذلك لكي تأخذ الغنى من عبدالغنى الذي أقامه مولاه وأعطاه كل كنوز الغنى في حضرة الله جل في علاه.

لكن إن ذهبت وأنت ترى أن معك علوم، بل قد تأتي إلى مجلس مثل هذا وأنت محضر كلمتين وتريد أن يقدِّموك لكي يكون لك نصيب، فماذا تبغي بعد ذلك؟

فأنت متحدث ومتكلم، فماذا تريد ان تأخذ بعد ذلك؟



كنوز المعاني

إذاً لا بد للسالك أن يفرغ كل ما معه لكي يأخذ من رجال الله المعاني العالية والحكم الراقية والأسرار الغالية التى استودعها الله في قلوبهم، فكنوز الدنيا في الأرض وكنوز الآخرة في السماء، فأين كنوز الله؟

إنها في قلوب العارفين لأن سيدنا موسى عندما قال له: أين أجدك يا رب؟

قال: تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي

فإذا أراد الله أن يستودع سراً عزيزاً عليه فما أئمن حقيقة يستودع الله فيها هذه الأسرار الغالية؟

لا يوجد إلا في قلوب العارفين، وقلوب الصالحين، وقلوب المستقين، وقلوب الوارثين فهى التى تحتوى على الحقائق الراقية التى يضعها فيها رب العالمين، وذلك لأن هذه الحقائق ليست للملائكة فهم يمتلكون كنوز الآخرة، وليست لأهل الدنيا فهم يمتلكون كنوز الخيرات، وإنما هي للمقبلين على الله، فجعل الله هذه الكنوز في قلوب أهل القرب ولذلك قال عنها في القرآن:

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[٤٩العنكبوت]

هل قال في سطور أم في صدور؟

في صدور، هل قال الذين أوتوا العلم أم الذين حصَّلوا العلم؟

الذين أوتوا العلم من الله، كما قال له:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾[سورة الحجر]

كذلك أعطى هؤلاء: ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ وإيتاء أي فضل من الله عز وجل بلا عمل ولا مال ولا جهاد، ولكن فضل من المنعم الجواد عز وجل على هؤلاء الرجال، فصدورهم كنوز العطايا، وقلوبهم خزن علوم المعرفة والولاية لمن أراد أن يعرِّفه الله أو يرقيه الله في عالم المعاني العالية، وعالم المعارف السامية، وتُكْتَسب هذه العلوم بالأدب التام.

والرجل الذي أراد أن يأخذ بعض من هذه الكنوز، مع أنه يتلقى الوحي بل إنه يكلم حضرة الله:

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾[سورة النساء]

مقام المكالمة، فقد قالوا له: يا موسى كيف سمعت كلام الله؟

قال: كنت كأنما أسمع عشرة آلاف لسان، كل لسان يتكلم بعشرة آلاف صوت، وكل صوت يتكلم بعشرة آلاف لغة في وقت واحد، وأسمعه بكلي فقد كان كله آذان، ومع هذه المنزلة العالية عندما أراد المعارف الغالية والحقائق الراقية قال له: إذهب إلى العبد وهو ما يقول الله فيه:

﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ [الآية(٦٥) الكهف]

أي أن هناك مثله:

﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

هذا العبد كان معه سر الحياة ... حياة القلوب.

(٥) إكسير الحياة

فلكي يحتي قلب أي واحد منا يلزمه اكسير الحياة، أين هذا الأكسير الذي يحي القلب الحياة السرمدية الأزلية، في أنوار الله وفي ذكر الله وفي معية حبيب الله ومصطفاه؟عند هؤلاء الرجال، فلو نظر الواحد منهم للإنسان نظرة بيقين فوراً يحييه الحياة الراقية العالية، حياة الروحانيين والصالحين، ولذلك يقول الله للمؤمنين وليس للكافرين والمشركين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ماذا يارب؟

﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الآية(٢٤) الأنفال]

ولم يقل إذا دعاكما، إذاً من يدعو هنا؟ هو حضرة الرسول، لماذا يدعونا؟

لكي يحيينا .. يحيي المعاني النورانية التى في القلب والفؤاد، المعاني الراقية والعالية التى استودعها الله عز وجل في قلوب العباد، وعندما يحيي هذه المعاني يجد الإنسان نفسه إذا نام يذكر القلب حضرة الله، وإذا اشتغل يجد القلب يذكر الله، وإذا كان يأكل ويشرب يسمع قلبه وهو يذكر الله، وإذا تحرك أي حركة أو سكنة يشعر بذكر الله في فؤاده وفي قلبه، ويضع الله فيه سر الحياة الإيمانية والحياة النورانية والحياة الروحانية التى أعطاها الله لرسول الله ﷺ.

ولذلك تجد إخواننا المجتهدين في العبادات، الذين لا نستطيع أن نسايرهم فيها حيث يطيلون في الصلاة، ويطيلون في الصيام،، ويكثرون من القيام ويتلون القرآن آناء الليل وأطراف النهار، ومع ذلك كله لم يأخذوا سر الحياة، وعندما تسأل الواحد منهم: ماذا ترى؟

يقول: لا شيء، وإذا رأى الواحد منهم أي فقير مسكين يقول: لقد رأيت كذا، يقول له: كيف رأيت يا أخي؟ فأنا أعمل كذا وكذا ولكن لا أرى أي شيء، وذلك لأنه يعتقد أن السر في الأعمال، ولا يعي أن السر في النظرة التى تكون من المصطفى ﷺ وورثته الكرام الذين ورثوا هذا المقام.

هذه النظرة يقول فيها الإمام أبو العزائم ﷺ:

من نظرة يرتقي المطلوب مرتفعاً ... قدس الجلالة في حال المناجاة

من نظرة واحدة يرتفع إلى قدس الجلالة .... في حال المناجاة مع حضرة الله عز وجل.

وهنا أضع أيدي إخواني وأحبابي على النقطة الجوهرية في صحبة العارفين من أجل هذا الموضوع، فلو أن الحكاية حكاية عبادة لكنا أتينا بالكتب وعملنا بما فيها،

لكننا محتاجين إلى النظرة التى ترفع كل ما في قلوبنا وترقينا إلى الحضرة، وهذا سـر لا يناله إلا صاحب سر، وكل صاحب سر لا يناله إلا من سر الأسرار وترياق الأغيار ونور الله، النبي المختار ﷺ ويقول في ذلك الإمام أبو العزائم مرة ثانية عندما أخذ هذا المقام العالي:

وإن فتحت كنوزي أغنيت قولاً وفعلاً ..وإن نظرت بعيني للعبد قد صار مولى

والكنوز هنا ليست الفضة والذهب، ولكنها كنوز المعاني والمعارف والأنوار الموجودة فيه:

والعين هنا ليست العين الحسية، ولكنها عين القلب والفؤاد، فإذا نظر للعبد نظرة بوداد فوراً يرتقي إلى معية الأفراد، فسيدنا موسى مع علو المقام الذي كان فيه ذهب للعبد، فماذا قال له؟

كان يستعطفه ويكلمه بلين وبرقة وخشوع وبإنكسار وبأدب ويقول:

﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة الكهف]

قال: لا تصلح، ولمن يقول؟ هل هو تلميذ عادي؟

إنه نبي ورسول ومع ذلك قال له:

﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة الكهف]

وليس هذا فحسب ولكنه أضاف:

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الكهف]

فالبضاعة التي معي غالية وعالية وراقية، فقال له سيدنا موسى:

﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الكهف]

وهذا هو أدب المريد .. من الذي بين هذا الأدب هل هو أحد المشايخ أم الله عز وجل؟ ... الله عز وجل، وهل هذا الأدب قاله الله على سبيل المثال أم أنه حال حدث وحصل؟ ....إنه حال حدث وحصل وذلك لكي نتعلم منه، فقال العبد:

شرطي إن أردت السير معي فلا تسألني عن شيء:

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة الكهف]

وقد ضرب الله لنا المثال في كلام الرجال، والذي وضّحه في آيات كلام الله عز وجل، فسار معه وعمل معه سيدنا الخضر ما عمله هو قبل ذلك.

نفس الوقائع....

فقد كانت أول واقعة: هي خرق السفينة وقد نجى الله موسى بالسفينة، فما الذي أخذه إلى بيت فرعون؟

أليست السفينة، وقد ربطت أمه هذه السفينة بحبل لكي لا تذهب بعيداً فقطع هذا الحبل، وهنا قد خرقت السفينة وذلك لكي تصل إلى بيت فرعون، وهذه أول آية.

والواقعة الثانية:كانت قتل الغلام، ألم يقتل موسى نفساً وقد فر من فرعون وقومه؟ ، والآية الثالثة: أقام الجدار ولم يأخذ أجراً .....

كذلك موسى فقد سقى ولم يأخذ أجراً.

وانظر هنا إلى العارفين وإعجازهم ، فلم يأتِ له بشيء لم يفعله، فكل الوقـــائع التى عملها موسى !!! ... عملها سيدنا الخضر نفسه ..!!..، وذلك لكي يعرفنـــا أن العارفين متمكنون من الفتح والتمكين ومؤيدون من رب العالمين عز وجل.

مراتب السير والسلوك

وأعطاه بعد ذلك مراتب السير والسلوك إلى ملك الملوك عز وجل، وهي مـــا تترقى فيه النفس ويترقى فيها السالك إلى ملك الملوك، وبداية هذه المراتب أن يكـــون للإنسان إرادة:

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ [الآية(٧٩) الكهف]

والمطلوب هنا منه أن يجاهد إلى أن تتحد إرادته بإرادة الله:

قال رسولُ الله ﷺ:

{{ لا يُؤْمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبَعاً لِما جئتُ به }} (٣)

﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ۝٨٠ فَأَرَدۡنَآ ... ﴾ [سورة الكهف]

(3) عن عبد الله بن عمرو (مشكاة المصابيح).

هنا اتحدت إرادته مع إرادة الله، وهذا هو المقام الثاني.

والمقام الثالث تنمحى إرادته ولا يكون له إرادة مع إرادة ربه:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة مريم]

ولذلك جاءت في المقام الثالث فقال له:

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ [الآية(٨٢) الكهف]

فكم إرادة عندنا في هذه الآيات؟

ثلاثة، وهي المقامات "فأردت" وهذه للبداية، فما زال الإنسان هنا حي له إرادة ... ثم "فأردنا" عندما اجتهد في السير والسلوك وأصبحت إرادته متوافقة مع إرادة الله، وبعد ذلك أمات نفسه وأنهى حسه وأصبحت إرادة ربه هى الفاعلة "فأراد ربك" وهذه الأشياء في الإنسان نفسه:

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ ﴾ [(٧٩) الكهف]

والسفينة هنا هي سفينتك أي: جسمك، والمساكين الذين فيها هم الجوارح، ولذلك ستأتي الجوارح يوم القيامة وتشهد عليك لأنهم غير مسئولين، فأنت الذي تصدر الأوامر وما عليهم إلا التنفيذ، ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ .. وهو ملك الموت: ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ .

وأما الغلام .. فهو العقل إذا حكّمه الإنسان في الشرع، وهذا لا يجوز لأنه هنا سيزل ويضل، فهل العقل هو الحاكم أم الشرع؟

إنه الشرع، فمن يريد أن يمشي إلى فضل الله، وإلى رحاب أنوار الله عليه أن يمشي بقلبه وليس بعقله، وذلك لأن العقل يريد أن يزن كل شيء وبذلك يصبح حجر عثرة في السير والسلوك إلى حضرة الله جل في علاه، أما العقل فيلزم في البداية إذا أردت أن أتفكر إلى أن أهتدي إلى الله، أما إذا اهتديت فلا مكان للعقل ولذلك فإن سيدنا رسول الله كان يقول وهو ذاهب للحج:

{{ لَبَّيْكَ حَجّاً حَقّاً تَعَبُّداً وَرِقّاً }}.[٤]

فأنا عبد، فهل يناقش العبد سيده ويقول لماذا تأمرني بذلك أو لماذا تريدني أن أفعل ذلك؟.... لا فما يأمره به سيده عليه أن يفعله في الحال .

فإذا حكّم الإنسان عقله في شرع الله فسيضل السبيل، فإذا أراد أن يفتح الكنوز التي إدخرها في فؤاده الله فلا بد أن يبني جدار التقوى في قلبه:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾

[الآية (١٠٨) التوبة]

من الذي يؤسس له هذا الجدار؟

النبي المختار وعبد صالح وارث للمختار، فبدونه لا يستطيع أن يبني أو يفعل شيء، فإذا فوض أمره وسلم نفسه للنبي المختار فإن النبي المختار والعبد الوارث

(4) عن أنس رواه البزار في مجمع الزوائد.

المختار يبنيان له الجدار، حتى يبلغ أشده ويستوى في طريق الله ويصبح رجلاً في الحقائق عند مولاه، فيعرف الحقائق التى إدخرها فيه مولاه عز وجل:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الآية(١٤) القصص]

من الذي استوى هنا؟

سيدنا موسى، وليس الحكم هنا هو حكم المملكة، ولكن حكم نفسه، هل وحده؟

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٤ ﴾ [سورة القصص]

الذين وصلوا لمقام الإحسان.

العبد الرباني

إذاً لا بد للإنسان إذا أراد أن يكون من أهل الفتح عند حضرة الرحمن ... أن يبحث عن العبد الذي أقامه الله وورَثَهُ حبيب الله ومصطفاه.

والعبد قد يكون رجلاً مسكيناً كما رأيتم الخضر ..!!.. ، فسيدنا موسى عندما ذهب ليبحث عنه هو والغلام أخذا معهما مقطفا به سمكة مشوية، وقد أعلمه الله أنه عندما يجوع يعلم أن هذا المكان به العبد:

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة الكهف]

فقال لغلامه وتلميذه يوشع بن نون:

أين السمكة؟

قال: إن السمكة احتيت ومشت في البحر .

قال: أين؟

قال: عندما كنا في مكان كذا كان هناك رجلٌ يتوضأ، وأثناء وضـــوءه نزلـــت قطرات من الماء على السمكة ، فاحتيت السمكة ..!!.. ونزلت في البحر:

﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الآية (٦١) الكهف]

قال: لماذا لم تذكر ذلك؟

ارجع فهذا ما نبحث عنه وهذا ما أزمع الوصول إليه ......

ولو أمشي كذا وثمانين عاماً، لأن معه الحياة لدرجة أن قطرات ماء وضوئه تحيي الميت فقد أحيت السمكة المشوية ...!!!! ...

وذلك لكي يعرفوا أن معه ماء الحياة فقطرات علمه اللدني فيها الحياة، نـــوره القلبي فيه الحياة، نظراته الروحانية فيها الحياة.

لو نظرة من وارث يحيي بها ... كل امـرئ متشـــوق يرآه

وهؤلاء يا إخواني هم الرجال .....!!!!.... الذين إن أحيوا قلوبنا ..:

- تتنعم بالقرآن ، ومعاني القرآن ، وأسرار القرآن.
- والنبي العدنان .
- وجمال الحق عز وجل الذي تعالى عن الزمان والمكان.
- وأسرار لا يستطيع أن يذكرها اللسان.
- وبيان لا يتحمله كل إنسان....

لأنها حقائق عالية ، وأذواق راقية كلها ، نقول فيها لإخواننا:

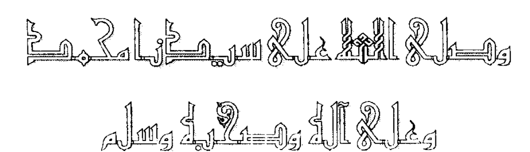
"ذق تعرف"

وكل ذلك تمهيد ...!!!

لكننا نقول هذا هو الطريق..!!

لكن يلزمه نور التأييد لترى بنفسك وتعاين بقلبك حقائق ورقائق وأذواق عالية لا تطلع عليها إلا الأفئدة الخالية، والقلوب التى بنور الله ونور حبيبه ومصطفاه ﷺ عامرة وراقية.

نسأل الله عز وجل أن ينعم علينا وأن ينعمنا بالحبيب الأعظم ﷺ وأن يهب لنا فتحاً وهبياً وعلماً لدنياً وأدباً قرآنياً ونوراً نبوياً وحالاً محمدياً.



الباب الخامس

المنهاج النبوي في تربية الرجال

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [الآية(٤٨) المائدة]

- سر البحث عن الصالحين
- تربيته ﷺ لأهل الخصوصية
- أنموذج قويم للمنهج النبوي في التربية
- الحميَّة لله
- موازين الأتقياء
- الدين النصيحة
- العدالة المحمَّديَّة
- جهـــــاد الهوى

سر البحث عن الصالحين

إخواني وأحبابي بارك الله عز وجل فيكم أجمعين:

و هنا سؤال يخطر دائماً على البال.........

لماذا يبحث الناس عن الصالحين ويتبعونهم ويقتدون بهديهم؟

الإجابات كثيرة والعلوم في هذا المجال غزيرة ....

لكن نريد ان نأخذ مباشرة ساطعة من الشمس المنيرة من رسول الله ﷺ ...

سيدنا رسول الله ﷺ ...

كانت مهمته العامة تبليغ دعوة الله .

وكانت مهمته الخاصة تربية رجال على أعلى مثال فيما يخطر على البال وما لا يخطر على البال من الفضائل والكمال، ليعاونوه على حمل الرسالة في زمانه وليكونوا خلفاء له بعد عصره وأوانه.

وهذه هي مهمة الرجال الصالحين في كل زمان ومكان.

وإذا قلنا رجال :

فقد يكون في النساء من بلغت مبلغ الرجال، وقد يكون في الرجال ما لا يستطيع أن يبلغ مقام الأولاد والعيال.

فرسول الله ﷺ دعوته للكمال للنساء والرجال، من النساء من بلغت مبلغ الرجال وفيها يقول الله في كتابه عز شأنه:

﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة التحريم]

لم يقل الله ..وكانت من القانتات، وإنما من القانتين ....

أي بلغت مبلغ الرجال.

قال ﷺ في هذا المقام ..، والحظ بعين سريرتك وبأذن بصيرتك كلمات البشير النذير:

{{ كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ. وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ }}.(١)،

وفى رواية :

{{ ولم يكمل من النساء إلا أربع }} (٢)

مقام الكمال للنساء والرجال ......

والفضل لله عز وجل يمن به على من يشاء من عباده.

(1) عَنْ أَبِي مُوسَى صحيح البخارى ومسلم ، وتمام الحديث {{ . وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ }}..

(2) ورد فى حديث ابن عباس فيما أخرجه النسائي بإسناد صحيح والحاكم عنه مرفوعاً: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية».

تربيته ﷺ لأهل الخصوصية

فدعوته للخلق:

هى الدعوة العامة للرسالة، ودعوته الخاصة: انتقاء أفراد ليربيهم على عينه حتى يبلغوا المراد ويكونوا معه في تبليغ الرسالة، وخلفاءه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى في حمل الأمانة، وتلك هي مهمة رسول الله الخاصة.

نأخذ لمحة عن هذه التربية،

فقد مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبيِّ فقالَ لِرَجُلٍ عَنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيكَ في هذَا؟» قالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هذَا وَاللّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللّهِ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: «مَا رَأْيُكَ في هذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هذَا رَجُلٌ مِنَ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ. هذَا أَحْرَى إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: «هذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا». (٣)

ما المقياس الذي فاضل به النبي بين الرجلين؟

﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الآية (١٣) الحجرات]

(3) وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ رواه البخاري ومسلم وابن ماجه.

دخل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بيت مال المسلمين وهو أمير المؤمنين، بعد ان طلب من خازن بيت المال، وقد أخبره أنه أصبح فارغاً أن يكنسه ويرشه وينتظره فيه، ثم أخذ نفراً من صحبه الكرام وذهب إلى بيت المال، فصلى فيه ركعتين ثم قال لهم: تمنوا، أي ماذا تتمنوا أن يملأ الله به هذا المكان وهو بيت مال المسلمين؟

فقال رجل منهم: أتمنى أن يملأ الله بيت مال المسلمين مالاً وذهباً وفضة حتى يغني المسلمين ولا يصير فيهم فقير، فأشار إلى الثاني فقال: أتمنى أن يملأ الله بيت مال المسلمين سيوفاً ودروعاً وسهاماً ورماحاً وأسلحة وخيلاً لنستعين بها على الجهاد في سبيل الله، ونهزم الكفر والكافرين، فأشار إلى الثالث فقال: أتمنى أن يملأ الله بيت مال المسلمين قوتاً وطعاماً وغذاءاً حتى لا يصير في المسلمين بيت أهله جياع.

ثم قال سيدنا عبدالرحمن بن عوف ﷺ وماذا تتمنى أنت يا أمير المؤمنين؟

فقال سيدنا عمر ﷺ: أتمنى أن يملأ الله بيت مال المسلمين رجالاً أمثال صهيب وبلال وأبي ذر والمقداد وسلمان وغيرهم، فإن ما ذكرتموه عرضٌ زائل يتمتع به ومنه البر والفاجر، لكن هؤلاء الرجال هم اللذين نحن في أمس الحاجة إليهم لحمل أمانة الله ونشر دين الله جل في علاه، فأعلمهم أن تلك هي المهمة العظمى، التى ركز عليها الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه.

هذه الأمانة هي تربية الرجال على منهج الكمال، والتى حملها عن سيد الخلق رجال، ربُّوا نفوسهم على شرع الله وتأسوا في كل أنفاسهم بحبيب الله ومصطفاه وجعلهم الله عز وجل نجوماً في أزمانهم يبلغون شرع الله، على النهج الذي ارتضاه الله من حبيبه ومصطفاه:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [الآية (١٥٩) آل عمران]

المنهج الوسطي : الذي فيه الجانب الشرعي والجانب التحقيقي.

الذي فيه للجسم القيام بالشريعة وللقلب القيام بالحقيقة.

وربُّوا رجالاً يعينوهم على تبليغ رسالة الله، تأسياً بحبيب الله ومصطفاه حتى يظل قول الله ﷻ:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الآية (٢٩) الفتح]

ممتداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها،وفيهم يقول ﷺ:

{{ لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ. لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ }}(٤)

هذه المدرسة :

لا تغلق أبوابها ولا يسمح في نفس من الأنفاس بحجب أساتذتها.

لأنهم القائمون على المنهاج خلف رسول الله ﷺ، الذي يحتاج إليه أهـــل كـــل زمان وأهل كل عصر وأهل كل أوان.

---

(٤) عَنْ ثَوْبَانَ(صحيح مسلم).

أنموذج قويم للمنهج النبوي في التربية

هذه التربية على نفس المنهاج النبوي، سنذكر منها هنا مثالاً واحداً نقتصر عليه فى هذا العرض ، وقد يكون لنا عودة إن شاء الله بعد ذلك إلى بقية النماذج التربوية للحضرة المحمدية فى كتاب آخر ....

أول ما يدخل التلميذ النجيب على الحضرة المحمدية يأمره ﷺ بالغسل ظاهراً وباطناً من كل الأفياء والمظاهر والشهوات الدنيوية، ثم بعد ذلك يربيه التربية الإيمانية، وأول مبدأ في التربية الإيمانية:

﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤]

يسير الرجل منهم ليس له هوى .... وإنما هواه هو هوى حبيب الله ومصطفاه وهو هوى الله .

فأول مبدأ يجاهدون عليه أنفسهم العمل بالحكمة النبوية: قال رسولُ اللهِ ﷺ:

{{ لا يُؤْمنُ أحدُكم حتى يكونَ هواهُ تبَعاً لِما جئتُ به }} (٥)

فلا يوجد هوى للأب ولا الابن ولا الابنة ولا أخ ولا أخت إلا على مقاييس رسول الله ﷺ، وعلى موازين كتاب الله جل في علا.

ولذلك ظهر منهم بعد هذه التربية في الحياة العملية العجب العجاب.

انظر في غزوة بدر –وكمثال واحد فقط –، رأى أبو عبيدة بن الجراح ﷺ

(5) وعن عبد الله بن عمرو (مشكاة المصابيح).

أباه يتبختر ممسكاً بسيفه بين صفوف الكفار، فخشى أن يقتله مسلم فتقدم وقتله .

ولما سُئل لم أقدمت على ذلك؟

قال: خشيت أن يقتله مسلم فتكون في صدرى ضغينة لمسلم، وربما أهم بإيذائه فأكون قد انتقمت لكافر من مسلم.

هذه موازين الرجال، من أراد ان ينال عطائهم وأن يكون على أعتاب قــربهم، وأن تفتح له الكنوز الإلهية التى فتحت لهم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالرجال فلاح

هؤلاء رجالات محمد في كل زمان ومكان .

ومن ليس على هذا المنهاج فهو كما يقول سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ:

" من الناس من هو رجل، ومنهم من هو نصف رجل، ومنهم من هو ربع رجل وكل واحدٌ على قدره ".

وكذلك سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ :

رأى ابنه عبدالرحمن وسط جموع الكفار، فأمسك بسيفه وأخذ يتتبعه وهو يفــر أمامه وبعد إسلامه قال: يا أبت كنت أفر منك يوم بدر وكنت تتبعنى لمــاذا؟ قــال: خشيت أن يقتلك غيري من المسلمين فتأخذني الحمية الجاهلية فأقتل مسلماً بكافر.



الحميَّة لله

هؤلاء ليست عندهم الحمية الجاهلية الموجودة في زماننا ...

، أي الحمية للأنساب أو الحمية للصداقة أو الحمية للقرابة أو الحمية للمودة وغيره، ولكن لا يوجد حمية إلا لله ولحبيبه ومصطفاه عند رجال الله، فمن أراد أن يكون رجلاً عند الله فهذا منهاجهم.

وانظر أيضاً إلى حامل اللواء، وكان مصعب بن عمير ﷺ فقد تفقد الجيش وكان قائده فوجد أخاه من أبيه وأمه وكان ما زال على الشرك أسيراً مع رجل من المسلمين.، فقال للمسلم: استوثق من أسيرك وقيده جيداً فإن أمه غنية وستفديه بمال كثير، فقال أخوه أبو اليسر: أهذه وصاتك بأخيك؟ قال: لست أخي وإنما هذا أخي والإسلام فرق بيننا.

والأعجب من ذلك ما حدث بعد انتهاء المعركة، فقد جمع الحبيب صحبه لينظروا في أمر سبعين أسيراً من الكافرين، ماذا يفعلون بهم؟

فقال عمر ﷺ:

يا رسول الله أعطني فلاناً قريبي، وأعطي أبا بكر فلاناً قريبه، وأعطي أبو عبيدة فلاناً قريبه، وأعطي لكل رجل منا فلاناً قريبه لنقتلهم حتى يعرف الله عز وجل أن قلوبنا ليس فيها هوادة لغيره.

فنزل قول الله عز وجل:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [الآية (٢٢) المجادلة]

فالمودة لله والتعظيم لمن عظمه الله ولا يعظمون إلا من عظمه العظيم وأشار إليه في كتابه الكريم وقال في شأنه:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الآية (١٣) الحجرات]

ولا يكرمون إلا من أمر بإكرامه النبي الكريم وقال في شأنه:

{{ أَكْرِمُوا حَمَلَةَ القُرْآن، فَمَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَنِي، وَمَنْ أَكْرَمَنِي فَقَدْ أَكْرَمَ الله }}(٦)

وفي رواية أخري:

{{ من أكرم عالماً فقد أكرمني ومن أكرمني فكأنما أكرم الله عز وجل }}

ولا يوقرون إلا ذي مقام في الإسلام وذي درجة عند الملك العلام، وصاحب رتبة تفضل عليه بها المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وهذا منهجهم ومنهج من تبعهم إلى يوم الدين.

يقول في هذا الشأن سيدي أبو مدين الغوث ﷺ :

(6) الدَّيلمي في (الإبانة) من حديث عبد الله بن عمرو

وهو الرجل الذي ربَّى ألف رجلٍ وكانوا من أهل الكشف وسموه شيخ الشيوخ لأن أتباعه كانوا ألفاً كلهم شيوخ في طريق الله ومن أهل الكشف، يقول في شأنهم:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقــــرا ... هم السلاطـــين والسادات والأمرا

فاصحبهـــــم وتأدب في مجالسهم ... وخلى حظك مهمــــا قدموك ورا

وسيدي أبو العزائم ﷺ وأرضاه ...

عندما كان في المسجد الجامع في الخرطوم يخطب الجمعة، نبه على أهل بيته أنــه سيحضر معه بعد الصلاة ثلة من الأعيان والوجهاء والأمراء، فجهزوا الموائد الفــاخرة والأطعمة الباهرة، وإذا به بعد الصلاة رضوان الله وتبارك عليه يأتي ومعه نفــرٌ مــن الفقراء، فتعجبوا عندما رأوهم، وتجرأ البعض وسألوه:

أين الوجهاء الأعيان الذين أشرت إليهم؟

فقال ﷺ وأرضاه: ألا تنظرون؟ أما عندكم بصيرة؟ أما نور الله منكم السريرة؟ هذا عند الله وجيهاً، وهذا وجيهاً في الدنيا والآخرة، وهذا من أعيان جنة الخلد، وهذا من أعيان الفردوس، وهذا من أعيان الملأ الأعلى، فعرفهم أن الأمر ليس بالمظاهر وإنما كما قال ﷺ في كلامه الباهر:

فـــني مـــن شـــاهد المجلـــي .. ونـــال الـــسرّ وارتاحـــا

وغنـــــّى بالحقــــانق مـــن رأى الأشبـــاح أرواحـــا

موازين الأتقياء

على هذا المنهاج كان أصحاب رسول الله ﷺ حتى أن الرجل منهم كان يكره أن يميز بغير حق، نحن نسعى إلى التميز في هذا الزمان، وهم كانوا يكرهون أن يميز الرجل منهم بغير حق.

انظر إلى الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه :

عندما شكاه رجل إلى سيدنا عمر، فاستدعاه عمر واستدعى الرجل، وترك الرجل واقفاً وقال اجلس هنا يا أبا الحسن فانتفض سيدنا علي وظهر في وجهه الغضب وبعد أن انتهت المحاكمة قال له عمر: لم رأيتك وقد امتعضت عندما ناديتك؟

قال: لأنك كنيتني ولم تكني الرجل قبل أن يظهر الحق لى أو له، وأردت إكرامي بالجلوس بجوارك والرجل واقف ولم يظهر لى الحق أو له:

﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب]

ما أحوجنا إلى هذا الصنف من الرجال ...:

- الذي لا يمارئ في الحق.
- ، ولا تأخذه لومة لائم، ليميل هنا أو هناك، وإنما يقول الحق ولو كان مرا.
- ويقول الحق ولو كان على نفسه.

ومن أولى بذلك إلا رجال الله العارفين في كل زمان ومكان، ومن أراد أن

يكون معهم أو منهم لا بد أن يتخلق بهذه الأحوال العالية.

ولذلك اذكر أنه عندما هممت بسلوك طريق القوم كان أول وصية من شيخي ومربيّ الشيخ محمد على سلامة ﷺ وأرضاه قال: يا بني المريد يتخيل أنـــه في القيامـــة وأول أمره قال تعالى في محكم التنزيل [آية ١٠١سورة المؤمنون] :

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾

ليس عندنا هذا الأمر، ولكن التقوى هى الحبل الأقوى الذي أمرنـــا بـــه الله، وكان عليه حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي وتسليماته عليه.

على هذا المنوال صار الرجال أهل الكمال.

وأول وصف لمن أراد أن يكون من كمَّل الرجال :

ألا يكون له هوى وإنما هواه هو هوى، حبيب الله ومصطفاه .. يفضل ما يفضله الله، ويؤثر ما يؤثره حبيب الله ومصطفاه، ولا يجعل للهوى مستقراً في نفسه طرفة عين ولا أقل ..... أما من لعبت به الأهواء .....: فليس له عنـــد العـــارفين دواء، إلا إذا شفي من هذا الداء:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة النازعات]

فلا بد أن يمحو مراده، ليكون مراد رسول الله هو مراده، ولا بد أن يجعل سيره وسلوكه على عين حبيب الله ومصطفاه في كل أمر من أمور هذه الحياة .. إذا استحيا فهو ليس من هؤلاء الرجال لأن هؤلاء الرجال كانوا لا يستحيون من الحق.

الدين النصيحة

والذي ضيع الحق من بيننا استحياؤنا من إخواننا، أرى أخي على الباطل ولا أنصحه خشية منه، أخشى الخلق أم أخشى الحق!

إذا كان عمر ﷺ كان يقول: لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أصلحت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، فقال رجل: والله لو رأينا فيك إعوجاجاً لقومناك بسيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي أوجد في أمة رسول الله من يُقوِّم عمر بسيفه.

وأوقفته امرأة مرة على المنبر ومرة في الطريق، مرة على المنبر وهو يقول عندما تغالى الناس في مهور النساء: لا تتغالوا في مهور النساء ومن زاد على أربعمائة درهم فسأفعل فيه كذا وكذا، فقالت ياعمر وهو على المنبر أما سمعت قول الله عز وجل:

﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [الآية(٢٠) النساء]

فقال: أخطأ عمر وأصابت امرأة .. كل الناس أفقه منك يا عمر.

وأوقفته مرة أخرى في الطريق وقالت: ياعمر عهدي بك وقد كنت تسمى عميراً وكنت ترعى الغنم في مكة بقراريط –أي ملاليم– من الأجر، واليوم تسمى عمر وتدعى أمير المؤمنين، اتق الله يا عمر، فقال رجل ممن حوله: لا تقولي ذلك لأمير المؤمنين ، قال: دعها لا خير فيهم إن لم يقولوها ولا خير فينا إن لم نقبلها.

لا تصح جماعة ونحن جماعة إلا بهذه الحقيقة وهذا المبدأ .. ننصح بعض ونُقوِّم بعض، لا أقول قوِّم السلطان فنحن بعيدين عن السلطان، ونوجه بعض كما قال حبيبي وقرة عيني ﷺ:

{{الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ}}(٧)

والذي يغضب من نصيحة أخيه فهو شيطان لأن الله عز وجل قال في شأنهم:

﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف]

ويقول الإمام أبو العزائم ﷺ: "فإن أبيت نصيحتى فأنت شيطان"

كانت الكلمة التى على ألسنة أصحاب رسول الله أجمعين سيدنا أنس وسيدنا أبو هريرة وغيرهم: "أخذ علينا العهد من رسول الله ﷺ أن ننصح لكل مؤمن لأن من رأى فى مؤمن خطأً شرعياً ولم يوجهه ولم ينصحه حوسب على ذلك يوم القيامة، وأول من يطلب ذلك صاحب هذا الأمر.

فقد قال ﷺ فيما معناه:

{{ يتعلق الرجل بأخيه يوم القيامة ويقول يا رب خذ لي بحقي من هذا فيقول: وما ذاك؟ فيقول:

يا رب رآنى على الباطل ولم ينصحنى }}

الدين النصيحة يا إخواني ..

ما عرف أهل الطريق وما انتشر جمالهم ولا ظهر كمالهم إلا بهذه المثاليات، ينصحون بعضهم ليأخذون بأيدي إخوانهم إلى الحق وإلى المنهج القويم خلف الرؤوف الرحيم ﷺ .

---

(7) (طس) والضياءُ عن أنس رضي اللَّهُ عنهُ (جامع الأحاديث).

لكن إذا رأينا الخطأ وملنا عنه فماذا نرجوا بعد ذلك من الله عز وجـــل ، وإذا رأى الإنسان اثنين تخاصما ..

ومال مع أحدهما وهم إخوان له لهواه، فأين الذي يحق الحق في هذه الحياة إن لم نكن نحن أهل الحق وأهل إحقاق الحق فمن يكون غيرنا.

كان السلاطين في كل زمان ومكان يستعينون بالصالحين في حـــل المـــشكلات وإنهاء النزاعات وخلاص الخصومات، لأنهم يقولون الحـــق لوجـــه الله ولا يبغـــون إلا رضاه، لا يميلون إلى هذا أو إلى ذاك، وهذا الصنف من الرجال لو وجد إنصلح حـــال المجتمع كله.

فمزارع الصالحين ومعسكرات المقربين ومراكز تدريب الأولياء والعارفين :

هى التى تخرج هذا الصنف العزيز من عباد الله في كل وقـــت وحـــين، وهـــذا الصنف لأنه عزيز قد يكون في كل عشر سنين خريج، وقد يكون في كل عشرين سنة خريج، وقد يكون بعضهم كما سمعت من قول أحدهم:

ربيت في زماني كله رجلين ونصف.

جمال أهل الطريق بسلوك هذا المنهج على التحقيق ......

أن نعظم من عظمه الله ونكرم من كرمه الله، وألا نميل مع الهوى ولو كان ابنـــاً لنا أو بنتاً لنا لأننا نحقق ونقيم لواء العدل في هذه الحياة.



العدالة المحمدية

فسيدنا رسول الله ﷺ أقام العدل منذ ولادته، فعندما علم أن له أخاً يشاركه في الرضاعة كان يرضع من ثدي ويترك الثدي الآخر، وتحاول أمه أن ترضعه من هذا الثدي فيأبى، وكان يتناوب الأكل بين الفكين ليعدل بين الناحيتين، وكان عدله حتى في مجلسه، فقد قالوا في مجلسه ﷺ كان يوزع بشاشته وسروره وإقباله ونظراته على أهل المجلس أجمعين، حتى يظن كل رجل منهم أنه هو صاحب الزلفى عند سيد الأولين والآخرين....

حتى أنه من هذه الغرائب: دخل عمرو بن العاص في الإسلام مؤخراً، وعندما رأى هذه الحقيقة ظن أن له عند رسول الله مكانة تفوق مكانة أبي بكر وعمر، فقال: يا رسول الله أيهما خير عندك أنا أم أبو بكر

قال: أبو بكر

قال: أيهما خير عندك أنا أم عمر

قال: عمر ولا تسألني بعدها.

لأنهم علموا أن الذي يقدم الرجل كما قال سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: "لا يقدم الرجل عندهم سنّه ولا سبقه في دخول الطريق، وإنما يقدمه فتحه الذي فتحه الله عز وجل عليه"

علموا هذه الخصوصية، فتبدأ الأقدمية عندهم لحظة حدوث الفتح، وصاحب الفتح عرف نفسه فعرف ربه، لا يغتر ولا يعجب بنفسه ولا ينضر لأنه سلك على

المنهاج القويم خلف الرؤوف الرحيم ﷺ، لكن الذي يتمسك بالأقدمية هو الـــذي لا يستطيع أن يمشي مع أهل الخصوصية.

فسيدنا عمرو بن العاص ظن بسبب عدالة رسول الله في توزيع النظر أنه أحب الخلق إليه، ولذلك أخذه حياءٌ بعدها فلم يستطيع أن يثبت نظره في الحبيـــب ﷺ وفي وجهه حتى انتقل إلى جوار ربه.

هذه بداية الفتوحات لمن أراد الفتوحات، أن يوطن النفس ويعزم عزماً أكيداً أن يُظهر الحق وأن يَظهر بالحق وألا يجعل لغير الحق عليه سلطان أياً ما كان في أي زمان أو مكان.

إذا استطاع أن يجاهد نفسه على المنهاج، فقد نجح في كشف الهيئـــة وقبلـــوه وأدخلوه ثم يجهزوه ويُحلّوه ليصبح من رجال الله الصالحين.

ولذلك كانت سفينة رسول الله ﷺ وسفينة أبو بكر وسفينة عمر مباركة لا فيها مشاحنات ولا منازعات، لأن القوم قبضوا على الأهواء وأنهـــوا الخلافـــات وأقـــاموا الأمور على الفضل الإلهي وعلى الخصوصيات التى بينها سيد الـــسادات ﷺ، وهـــذا الكلام ليس للرجال فقط ولكن أيضاً للنساء.

السيدة رملة بنت أبي سفيان زوجة النبي ﷺ أبوها كان زعيم الكفار، وذهبـــت مع زوجها قبل رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وفي الحبشة تنصر زوجها .. مـــاذا يفعـــل رسول الله؟

أرسل إلى النجاشي يوكله أن يعقد عليها ويزوجها إلى حضرة النبي، فجهزوهـــا وأرسلها مبجلة ومعها وفد إلى رسول الله ﷺ.

ولما علم أبو سفيان أن النبي جهز جيشاً لغزو مكة سافر إلى المدينة ليطلب من رسول الله ﷺ أن يمدد الهدنة التى كانت بين الفريقين وقتها ويزيدها.

أين يذهب أبو سفيان؟ ذهب إلى ابنته، فوجد في حجرتها فراشاً فأراد أن يجلس فرفعته. فقال: يا بنية أرغبت بي عنه أم رغبت بي عن الفراش؟

قالت: إنه فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، ولا يجب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ ... هذه امرأة بلغت مبلغ الرجال.

هؤلاء رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، نحن لا نريد رجال يقومون الليل يصلون، ثم إذا أصبح الصباح يمالئون ويداهنون، أي رجال هؤلاء؟!

رجال يصومون ويتلون القرآن ،ثم تتحكم في حياتهم زوجاتهم، وهي التى تُسير دفة المركب على هواها وليس علي شرع الله عز وجل، أي رجل هذا؟

جهاد الهوى

نحن نريد رجال "دفة المركب مع رسول الله[٨]" ...

ليس له هوى إلا هوى رسول الله ﷺ، وليس له مطلب ولا مأرب إلا فيما يحبه الله ويرضاه، هؤلاء الرجال الذين منَّ عليهم الله وجعلهم أئمة يُهتدى بهم ويُقتدى بآثارهم وأفعالهم في كل زمان ومكان.

---

(8) أي أن دفة مركب حياتهم وتوجيه شئونهم بيد رسول الله أى على شرع الله وسنة رسوله ﷺ.

منهم سيدي عبدالقادر الجيلاني ﷺ، قال ﷺ: "ولد لي اثنا عشر ولداً، ما ولد لي واحد منهم إلا وكبرت عليه أربع تكبيرات" أي صلى عليه صلاة الجنازة، أي لم يجعله في قلبه، لأن قلبه لربه لأنه نظر إلى الدرس الإبراهيمي.

فعندما رزق الله إبراهيم بالغلام ومال بشعبة من قلبه نحو الغلام، والحقُ غيور وأنواره سفور ويغار على أحبابه أن يدخل في قلوبهم غيره عز وجل، فقال له: احمله إلى الصحراء فحمله وأمه إلى مكان لا زرع فيه ولا ماء.

ثم لما شب واكتمل عوده وعاد ابراهيم لزيارتهم فرآه فمال بشعبة من قلبه إليه، وعندها أمره الله أناذبحه، لأن الله لا يحب أن يكون له مشارك في قلب عبده: ((أنا أغنى الأغنياء عن الشرك))

فلما أسلما بقلوبهما لله ولم يكن فيهما إلا الله:

﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الصافات]

وغيره من الصالحين المبجلين أجمعين فإنهم ﷺ وأرضاهم، جعلهم الله خزاناً للعطاء الإلهي وأمناء على الخير النبوي، فلا يعطونه إلا لمن يستحقونه ولو كان غير قريب او غير مجيب لأنهم يمشون على منهاج الحبيب ﷺ في كل ذلك.

هذا كشف الهيئة لمن أرادوا أن يهيئوه، و للحضرة العلية يزينوه، ولحضرة المصطفى ﷺ يزفوه، وبخزائن فضل الله وأوسمة كرم الله يهنئوه، لأنه ليس في قلبه إلا الله، وليس معه هوى إلا مع حبيب الله ومصطفاه....

قال ﷺ:

{{ جاهدوا المشركين بألسنتكم وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم }}[9]

جهاد الهوى شيء مهم، فإذا لم يفلح المريد في جهاد الهوى فقد هـوى، وإذا جاهد الهوى أصبح صالحاً لهذا الدوا، ورقاه الله وحياه وأدناه.

لأن هذه سنة الله على منهج شرع الله الذي جعله لحبيب الله ومصطفاه ﷺ، لما قال نوح:

﴿ يَـٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة هود]

غضب الله منه، فقال:

﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [سورة البقرة]

إذاً الإنسان ينبغي أن يكون على منهج حبيب الله ومصطفاه، يقول الحق ويمشي على الصدق، لا يمارى ولا يمالئ ولا يداهن، وإنما هو سيف على رقاب جميع العباد لأنه يقول الحق وهذا هو منهج الأفراد.

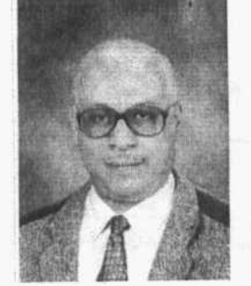
نسأل الله عز وجل أن يكرمنا بهديهم وأن يجعلنا من أهل منهاجهم ...
وأن يكرمنا بأخلاقهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(9) عن أنس بن مالك (مسند الإمام أحمد).

نبذة عن المؤلف فضيلة الأستاذ
فوزى محمد أبوزيد



۞تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة
مركز السنطة – محافظة الغربية – جمهورية مصر العربية

۞المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

۞العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

۞النشاط : ١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول فى جميع الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام .

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط و الأقراص المدمجة.

٥- وأيضا من خلال موقعه بالإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

۞ دعوته :

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية ، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين ، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل الرسول وأصحابه الكرام .

۞ هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية .

قائمة مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

أولا : من أعلام الصوفية :

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى ٢- الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة.
٣- المربى الربانى : السيد أحمد البدوى

ثانيا : الدين والحياة :

٤- زاد الحاج و المعتمر (٢ط) ٥- نفحات من نور القرآن ج ١
٦- نفحات من نور القرآن ج ٢ ٧- مائدة المسلم بين الدين و العلم
٨- نور الجواب على أسئلة الشباب ٩- فتاوى جامعة للشباب
١٠- مفاتح الفرج (٥ط) (ترجم للأندونسية) ١١- مختصر مفاتح الفرج .(حجم صغير).
١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان، (ترجم إلى الإنجليزية والأندونسية)
١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام
١٤- كيف يحبُّك الله .
١٥- كونوا قرآنا يمشي بين الناس

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات

١٦- ج١: المولد النبوى ١٧- ج٢ : الإسراء و المعراج
١٨- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران . ١٩- ج٤ : شهر رمضان و عيد الفطر
٢٠- ج٥ : الحج و عيد الأضحى ٢١- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٢- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣طبعات).
٢٣- إشراقات الإسراء- ج١(٢ط) ٢٤- إشراقات الإسراء- (ج٢)
٢٥- الرحمة المهداة ٢٦- الكمالات المحمدية
٢٧- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ.

رابعا : الطريق إلى الله :

٢٨- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونسية)

٢٩- أذكـــار الأبـــــرار
٣٠- أذكار الأبرار (حجم صغير)
٣١- المجاهدة للصفاء و المشاهدة
٣٢- علامات التوفيق لأهل التحقيق
٣٣- رسالة الصالحين
٣٤- مراقى الصالحين
٣٥- طريق المحبوبين و أذواقهم .
٣٦- أوراد الأخيار (حجم صغير) .. (تخريج وشرح).

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٣٧- الصوفية و الحياة المعاصرة
٣٨- الصفـــاء و الأصفيـــاء
٣٩- أبواب القـــرب و منازل التقريب
٤٠- الصوفية فى القرآن و السنة
٤١- المنهج الصوفى والحياة العصرية
٤٢ - الولاية والأولياء .

==============================

تحت الطبع للمؤلف

==============================

١- من أعلام الصوفية : شيخ الإسلام : السيد إبراهيم الدسوقى

٢- الدين والحياة : المؤمنات القانتات

٣- الحقيقة المحمدية : الصلوات الإلهاميَّة

٤- الطريق إلى الله : الحكم الإلهاميَّـــة

٥- الخطب الإلهامية :المجلد الثانى : الموت و الحياة البرزخية

==============================

فهرس

تمَّ بحمد الله فله سبحانه الشكر والمنة